أسلوب التعقيب القرانى مقاربة جمالية

د / أسامة عبد العزيز جاب الله

مدرس البلاغة والنقد الأدبى

كلية الآداب - جامعة كفر الشيخ

أُسلُوبُ التعْقِيبِ القُرْآنِيّ
مُقَارَبَةٌ جمَالِيّة (*)

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، الرحمن الرحيم ، المتصرّف في الكون العظيم كيف شاء ، سبحانه لا أحصي ثناء عليه ، فهو كما أثنى على نفسه ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . والصلاة التامّة الكاملة على نور الأنوار ، النبي المختار ؛ سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد .

فإنّ أوجه الإعجاز تتعدد في القرآن الكريم ؛ النصّ المعجز لفظاً ومعنى ، بلاغة وفصاحة ونظماً ، وتتنوع على نحو بديع ، وتتضافر في تنسيق أعجب ، حتى تُدرك في نهاية المطاف أنّك أمام المعجزة الكبرى التي لا تُضاهيها معجزة ، ولا تُطاولها آية أخرى .

والناظر المتأمّل في نسيج النص الكريم تَرُوعُه الألوان المتنوعة الدلالة في توظيفات النص القرآني لمختلف الظواهر اللغوية على نحو بلاغي وجمالي ، فيدرك تميّز التوظيف ، وفرادة التنسيق للآي القرآني في تأديته لما يقصد إليه من دلالات تتعدّى حدود الزمكانية وذلك لصلاحية النص الكريم لكل زمان ومكان .

ومن جميل التوظيف القرآني ما نلحظه في سياق الآيات الكريمة من (تعقيبات) تنتهي بها الآيات ، وكأنها درّة التاج ، وجوهرة العقْد . وهذه التعقيبات القرآنية تتمايز عن الفاصلة (اللفظة المفردة) في كونها أشمل من الفاصلة وأعمّ منها ، لأنها ليست كلمة مفردة ، بل هي المركب المتمّم للسياق الكلي للآية .

(*) دكتور أسامة عبد العزيز جاب الله - مدرس البلاغة والنقد الأدبي - كلية الآداب - جامعة كفر الشيخ

ولذا فإننا نحاول في هذه المقاربة الوقوف على جمالية هذه الظاهرة في القرآن الكريم محاولين التدقيق في السياق التراثي المتناول لهذه اللمحات الجمالية ، وبيان وجهات النظر المتنوعة إزاء هذه التوظيفات .

وقد جاءت هذه المقاربة في عدة مباحث هي :

المبحث الأول : الدلالة المعجمية والصرفية للتعقيب القرآني .

المبحث الثاني : ماهية التعقيبات القرآنية .

المبحث الثالث : بين الفاصلة و التعقيبات .

المبحث الرابع : أقسام التعقيبات القرآنية .

ثم ختمنا البحث بما توصلّنا إليه . وذكرنا المراجع التي اعتمدنا على عطائها الثري في هذا الإطار .

ونرجو من الله حسن القبول ، والبعد عن الشطط والزلل ، إنه ولي كلّ خير ، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله ربّ العالمين

المبحث الأول :

الدلالة المعجمية والصرفية للتعقيب القرآني

تدور الدلالة اللغوية للتعقيب حول أصل دلالي واحد هو نهاية الشيء ، وختامه . والتعقيب مصدر للفعل (عقَّب) الذي هو (عَقَبَ) بتضعيف الصامت الثاني من

المكوّن الأساسي (فَعَلَ) . ويتكوّن هذا البناء من المقاطع الآتية :

فع : ص ح ص: مقطع متوسط.

ع : ص ح: مقطع قصير مفتوح.

ل : ص ح: مقطع قصير مفتوح.

ولهذا التضعيف دلالات أهمها :

دلالات المكون التركيبي (فَعَّلَ):

١- **التكثير** : يرى ابن الحاجب أن "فعل للتكثير غالباً "[١] وذلك كأن يكثر فاعل فَعَّلَ أصل فعله. ومنه ذَبَّحْتَ الغنَم وقَطَّعْتَ الثوبَ، وغَلَّقْتَ الأبوابَ، ومَوَّتَ المال أي وقع الموتان في الإبل، وجَوَّلْتُ وطَوَّفْتُ بمعنى أكثرت الجولان والطواف[٢]. ومنه قوله تعالى : ﴿وفَجَّرْنا الأرضَ عيوناً﴾[٣].

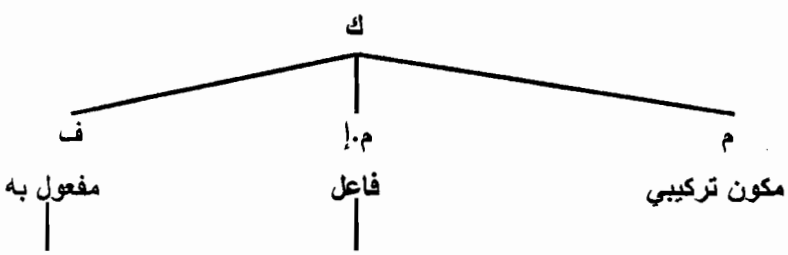

١- الرضي ، شرح الشافية ، ١ / ٩٢.

٢- ينظر : السابق ، ١ / ٩٣ .

٣- سورة القمر ، آية رقم (١٢) .

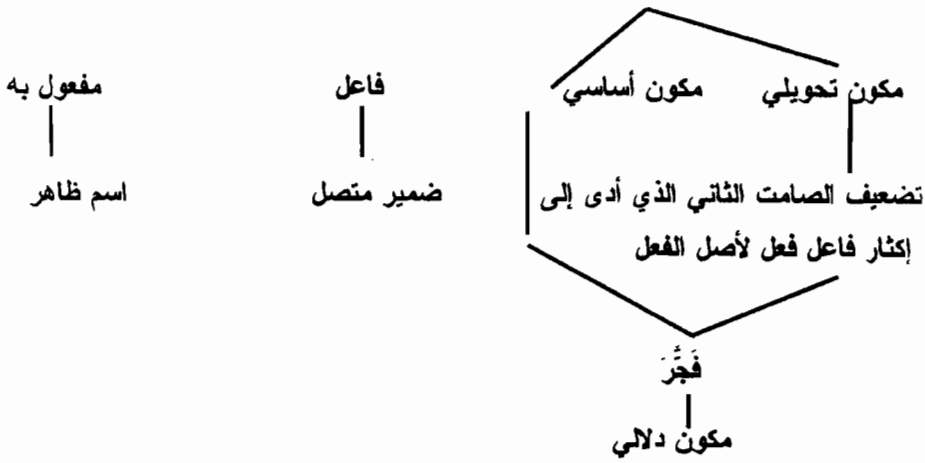

ونستنتج من هذا التمثيل التوضيحي أن الزيادة التي تمت بواسطة تضعيف الصامت الثاني من المكون الأساسي أدت إلى أن يكثر فاعل الفعل في المكون التركيبي أصل فعله. والتكثير نوعان: قد يحدث "في المتعدي كما في غَلَّقَ وقَطَّعَ، وقد يكون في اللازم كما في جَوَّلَ وطَوَّفَ ومَوَّتَ " [١].

٢- **التعدية:** وفَعَّلَ لا يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل إلا محمولاً على أَفْعَلَ كَحَدَّثَ وخَبَّر .

أ- تعدية اللازم مثل قوله تعالى: ﴿ويُبَشِّرُ المؤمنينَ الذينَ يَعْمَلُونَ الصالحاتِ أنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾[٢].

ب- المتعدي إلى مفعولين: مثل قوله تعالى: ﴿ثم إذا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قالَ إنما أُوتِيتُهُ على عِلْمٍ﴾[٣].

٣- **النسبة :** وقد تتم بـ"نسبة المفعول إلى أصل الفعل وتسميته به، نحو فَسَّقْتُه أي نسبته إلى الفسق وسميته فاسقاً، وكذا كَفَّرْتُهُ"[٤].

وقال ابن الحاجب : "يرجع معناه إلى التعدية، أي جعلته فاسقاً بأن نسبته إلى

١- الرضي ، شرح الشافية ، ١ / ٩٣ . وينظر : الجاربردي ، شرح الشافية ،٤٧.

٢- سورة الإسراء: آية رقم (٩) .

٣- سورة الزمر : آية رقم (٤٩) .

١- الرضي ، شرح الشافية ، ١ / ٩٤ .

الفسق"[١].

ويبدو أنّ ابن الحاجب لم يفرّق بين زيادة الجعل وزيادة النسبة فالأولى نعتمد تصييره فاعلاً للفعل المشتق منه فعل، أما الثانية فلا تعتمد هذا التصيير وإنما نسبة المفعول إلى أصل الفعل . و "فسقته بمعنى قلت له يا فاسق أو نسبته إلى الفسق وليس المعنى صيرته فاسقاً "[٢].

٤- **السلب** : وقد مر تفسيره في أَفْعَلَ وذلك مثل: قَرَّدْتَ البعيرَ، أي أَزَلْتَ قُرَادَه، وجَلَّدْتَه أي أَزَلْتَ جِلْدَهُ بالسَّلْخِ، وقَرَّعْتَ الفصيلَ أي أَزَلْتَ عنه القَرْعَ وقَذَّيْتَ عينَه أي أَزَلْتَ قَذَاها [٣].

٥- **الدعاء:** وقد يجيء للدعاء على المفعول أو له بأصل الفعل وذلك مثل: جَدَّعْتَهُ وعَقَّرْتَه أي قلت له جدعاً لك، وعقراً لك .

٦- **وقد يأتي بمعنى فَعِلَ نحو زِلْتَه وزَيَّلْتَه**[٤] بمعنى فرّقته. وهو من زَالَ يَزِيل يائي العين . كما جاء فَعَّلَ للدلالة على معان أخرى وهي :

٧- **ويرد بمعنى صار ذا أصله، كورَّقَ**: أي أَوْرَقَ: أي صار ذا وَرَق، وقَيَّحَ الجرح إذا صار ذا قيح[٥].

٨- وقد يأتي للدلالة على صيرورة فاعله أصله المشتق منه، كَرَوَّضَ المكانَ بمعنى صار روضاً وعَجَّزَتِ المرأة، وثَيَّبَتِ وعَوَّنَت إذا صارت عجوزاً وثيباً وعواناً[٦].

٩- ويدل هذا المكون التركيبي على تصيير مفعول الفعل على ما هو عليه، نحو

٢- نفسه .

٣- الجاربردي ، شرح الشافية ، ٤٧ .

٤- ينظر : ابن يعيش ، شرح الملوكي في التصريف ، ٧٢ .

٥- ينظر : الرضي ، شرح الشافية ، ١ / ٩٢ .

٦- السابق ، ١ / ٩٥ .

١- ينظر : الرضي ، شرح الشافية ، ١ / ٩٥ . ابن يعيش ، شرح الملوكي ، ٧٢.

"سبحان الذي ضوّأ الأضواءَ وكوّفَ الكوفة وبصّرَ البصرة"[١] بمعنى جعلها أضواء وكوفة وبصرة.

١٠- وقد يأتي هذا المكون التركيبي ليدلّ على أن فاعله قام بفعله في وحدة زمانية معينة هي التي اشتق منها الفعل ، كهجّر : أي : سار في الهاجرة . وصبّح : أي: أتى صباحاً ، ومسّى وغلّس أي : فعل في الوقتين شيئاً [٢].

١١- وتدل صيغة فَعّلَ على المشي إلى الموضع المشتق منه الفعل، نحو كَوّفَ : أي مشى إلى الكوفة ، وفوّزَ وغوّرَ : أي مشى إلى المفازة والغور[٣].

وقد يجيء لمعان غير ما ذكر ، غير مضبوطة بمثل الضوابط المذكورة ، نحو : جَرّبَ وكلّمَ[٤].

وما يلاحظ على هذا المكون التركيبي "فَعّلَ" أن تضعيف العين أي تكرارها هو تطويل في مدة النطق بها من مخرجها، ونستطيع أن نقول بعد الاستماع إلى هذا الصوت المضعّف إنه صوت طويل .

وتدور الدلالة الأصلية لمادة (عقب) حول أصل واحد هو " آخر الشيء أو عاقبته". فالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) يقرر أن " التعقيب : انصرافك راجعاً من أمر أدرته ، أو وجه . والتعقيب : غزوة بعد غزوة ، وسَيْر بعد سَيْر " [٥] .

فالانتهاء من عمل أمر ما ثمّ الرجوع من عملية إتمامه ؛ تعقيب . كما أنّ التعقيب يقتضي المعاقبة بمعنى تكرار الأمر مرة بعد مرة مثلما يشير الخليل إلى أنه غزوة بعد

٢- نفسه .

٣- ينظر : ابن يعيش ، شرح الملوكي ، ٧٢. والغلس هو ظلام آخر الليل إذا اختلط بضوء الصباح .

٤- الرضي ، شرح الشافية ، ١ / ٩٦.

٥- نفسه .

١- الخليل ، العين ، مادة (عقب) ، ١ / ١٢٥ .

غزوة ، أو سير بعد سير .

وعلى هذا فالتعقيب الرجوع من أمر ما بعد الانتهاء من أدائه ، وهذا يقتضي الابتداء في مزاولته مرة أخرى بعد هذا الأداء .كذلك فإنّ التعقيب يقتضي أن يكون ختاما لشيء ما ، وتذييله بحيث يصير التعقيب آخر هذا الشيء .

ويدور على هذا المعنى لمادة (عقب) بالتوسع أو التضييق أهل اللغة وأصحاب المعاجم . [١]

المبحث الثاني :

مَاهِية التَعْقِيبَات القُرْآنِيّة

هناك آيات قرآنية تذيّل في نهايتها بما يشبه الخَتْم على ما سبق من دلالات في سياقها السابق . وهذا الختم يختلف بالطبع عن الختم بالفاصلة التي هي آخر كلمة في

٢- ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، ١ / ٩٣ . – الجوهري ، الصحاح ، ٣ / ١٨٩ . – ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ٤ / ١٦ . – ابن منظور ، لسان العرب ، ٧ / ٥٥ .

الآية . فمثلاً قوله تعالى في سورة الفاتحة: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)) ، ندرك أنّ كلمات (العالمين – الرحيم – الدين) هي فواصل الآيات السابقة . في حين نجد أنفسنا أمام آيات تختم بعبارات أو جمل لا نستطيع أن نقف على آخر كلماتها فنعدها فاصلة فقط ، بل على العكس تماماً لا بد من شمول التركيب كله لأنه ورد على سبيل التعبير الجملي لا التعبير المفرد ، مع الوضع في الاعتبار أنّ نهاية الآية فاصلة لا شك ، لكنّ هذا التركيب جاء (كلاً متكاملاً) لاعتبارات دلالية وجمالية تتجاوز في ذاتها الفاصلة المفردة .

يقول د. أحمد أبو زيد : " المراد بالتعقيب على الآيات ؛ ذلك الجزء أو المقطع الذي يأتي في ختامها ، وتذيّل به الآية زيادة في البيان ، ومحافظة على وحدة الإيقاع " [١] .

والتعقيبات القرآنية تمثّل سمة بارزة من سمات الأسلوب القرآني ، وأحد أوجه الإعجاز الجمالي فيه ، ذلك لأنها تجمع بين الوظائف المعنوية الدلالية ، بالإضافة إلى تحقيقها وظيفة جمالية لأنها تمهّد بجلاء لمقررات التناسب الإيقاعي في نهايات الآيات.

والتعقيبات القرآنية معلومة لكل ناظر متأمل في النص الكريم منذ بدء نزوله على قلب المصطفى ﷺ. فمن ذلك ما رواه السيوطي في الإتقان من أنّ المصطفى صلى الله عليه وسلم أملى على زيد بن ثابت الصحابي الجليل آيات من سورة المؤمنون وهي قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) فلما سمع معاذ بن جبل – رضي الله عنه – هذا البيان القرآني نطق : (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)) ، فضحك النبي ﷺ

١- د. أحمد أبو زيد ، التناسب البياني في القرآن الكريم ، ٩١ .

فقال له معاذ : ممّ تضحك يا رسول الله ؟ قال : بها ختمت [١] .

ولعلّنا ندقق النظر في قوله ﷺ: (بها ختمت) فكأنّ هذه الجملة الفعلية جاءت ختماً على الآية ، وتذييلاً للمعنى الجمالي الذي احتوته . ولكأنّ هذه الجملة النبوية تعدّ أول تعريف للتعقيبة القرآنية بأنها (ختام الآية) .

ولعلنا نحدّد الفاصلة في الآية السابقة بأنها كلمة (الخالقين) ، لكن ختام الآية أو تعقيبها فيتمثل في جملة (فتبارك الله أحسن الخالقين) كاملة تامة .

إذن نحن أمام أمرين يتعلقان بختام الآية القرآنية هما :

الأول : أنّ فاصلة أي آية هي آخر كلماتها .

والثاني : أنّ هناك أمر أعمّ من الفاصلة ؛ وهي التعقيبة القرآنية التي تحتوي الفاصلة بداخلها ، وتصبغها بصبغتها الدلالية .

فالعلاقة بينهما علاقة العام والخاص ، إذ لا بدّ من وجود فاصلة لكل آية ، وليس شرطا وجود تعقيبة لكل آية ، فالفاصلة القرآنية أكثر عددا بلا جدال من التعقيبات .

ومما يلحق بالقول عن التعقيبة أنها لا تأتي إلا حين يقتضيها السياق ، ويتطلبها الجو النفسي للآية ، لأن تمام الآية نصياً ودلاليا وجماليا لا يكون إلا بها ، وهي حينئذ لا يمكن الاستغناء عنها رغم وجود الفاصلة في نهاية الآية ، وكجزء من تركيب التعقيبة .

ويمثّل لذلك ما روي عن الأصمعي إذ كان يقرأ القرآن من سورة المائدة قوله تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ) وختمها بقوله : (والله غفور رحيم) فسمعه أعرابي فقال له : ما هذا فصيح . فقال الأصمعي: أتحفظ ؟ فقال الأعرابي : لا . فأعاد الأصمعي وختم الآية بقوله تعالى : (وَاللَّهُ عَزِيزٌ

١- السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ٢ / ١٠١ . ووردت هذه القصة أيضاً برواية أن القائل هو سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ، وفي رواية أخرى أنه : عبد الله بن أبي السرح . ينظر : السيوطي ، لباب النقول في أسباب النزول ، ١٥١ .

حَكيمٌ (٣٨)) ، فقال الأعرابي : بخ بخ عَزّ فَحَكم فقَطَع [١] .

إذ جاء ختام الآية الكريمة بتعقيبة مناسبة للسياق النصي والدلالي فيها ، لأنّ السياق هنا سياق عقوبة وتهديد ، لا يناسبه مقام المغفرة والرحمة ، وإلاّ لما شُرِعَت العقوبة ابتداءً . لكن التذييل هنا بالعزة والحكمة يناسب هذا السياق الدلالي للآية . فالفاصلة في الآية هي كلمة (حكيم) وحدها ، لكنّ التعقيبة هي جملة (والله عزيز حكيم) .

وتأسيساً على هذا الطرح نجد لزاماً علينا إيضاح الفروق بين الفاصلة القرآنية والتعقيبات ، وهذا هو محور المبحث الآتي .

المبحث الثالث :

١- أبو حيان ، البحر المحيط ، ٣ / ٤٨٤ . وينظر : - ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ١ / ٧٢ .

بيْن الفاصِلَةِ والتَعقِيبات

ينعقد الكلام هنا على تبيان الفرق الدقيق بين الفاصلة والتعقيب القرآني ، وإيضاح العلاقات الممكنة بينهما ، وتفرّد كل منهما عن الآخر .

الفاصلة :

للنص القرآني خصوصية متفردة في شتى أركانه وفي جميع نطاقات عمله ، في تراكيبه وجمله ، في كلماته ومفرداته ، في سوره وآياته ، في نظمه ، في رسمه ، في تقسيم الآيات ، في فَصلّه ووصلّه ، في بلاغاته ، في نهاية آياته (فواصله) ، في كل ما يتعلق به . هذا التفرد والتميز لابد من البحث في وسائله وسبله ، للوقوف على نطاقات الإعجاز فيه ، ومدارات الخصوصية لهذا النص الفريد .

ومن بين هذه الإعجازات ، الإعجاز في توظيف الفواصل القرآنية ، تلك الفواصل التي تحوي ألواناً إعجازية ودلالية بالغة الجمال ، ورائقة السياق مما يمنحها رخصة الاشتراك في الإسهام في منظومة الإعجاز القرآني بكل تأكيد وفاعلية .

تعريف الفاصلة :

هذا وقد تعددت تعريفات الفاصلة القرآنية كما يلي :

ففي الاصطلاح اللغوي لها : الفصل : بونٌ ما بين الشيئين . والفصل من الجسد : موضع المفصل ، وبين كل فصلين وصل . والفاصلة : الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام . وعقد مفصل أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة . الفصل : القضاء بين الحق والباطل . والتفصيل : التبيين [١] .

ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من أشار للمصطلح كما هو إذ يقول : " سجع الرجل ؛ إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن كما قيل : "

١- ينظر : الجوهري الصحاح ، مادة (فصل) ، ٤ / ١١٦ . - الرازي ، مختار الصحاح ، ٢٩٨ . - الفيومي ، المصباح المنير ، ٢٤٦ .- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (فصل)، ٨ / ١٧٧ .

لصّها بطَل ، وتمرها دَقَل ، إن كَثُرَ الجيش بها جَاعوا ، وإن قَلّوا ضَاعوا " [١]. فهو هنا يشير إلى (الفواصل) الكلامية غير الموزونة ، ويدخل فيها بالطبع الفواصل القرآنية .

وخلاصة الرأي اللغوي فيما يخص الفاصلة ، أنها الفصل بين شيئين متصلين ، ويدور ذلك المعنى في ثنايا التخريجات اللغوية .

أما تعريف الفاصلة في الاصطلاح فتعددت تعريفاتها ، ومن هذه التعريفات :

ما يراه الرماني (ت٣٨٦ هـ) من أن " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني ، والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها " [٢] .

فهو هنا يؤكد على دور الفاصلة في المعنى ، بالإضافة إلى دورها في الإيقاع المتولد من المقاطع المتشاكلة . إلا أن كلمة الرماني (والأسجاع عيب) جعلته مقصدا للنقد خاصة من جانب ابن سنان الخفاجي الذي رأى في هذا الرأي تعميماً غير مقبول، فردّ على الرماني بقوله : " أما قول الرماني : إن السجع عيب ، والفواصل بلاغة على الإطلاق فغلط ، لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعاً للمعنى ، وكأنه غير مقصود، فذلك بلاغة ، والفواصل مثله . وإن كان يريد السجع ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف فذلك عيب ، والفواصل مثله " [٣] .

فالخفاجي في رده هذا إنما يحفظ للمبدع حقه ، ويصون النص القرآني عما قد يظنّ من التشابه بين فواصله وأسجاع المتكلمين .

والباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) يعرف الفواصل بأنها : " حروف متشاكلة في

---

١ - الخليل ، العين ، مادة (سجع) ، ٢ / ٢٤٤ .

٢ - الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ٩١ .

٣- ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ١٧٣ .

المقاطع، يقع بها إفهام المعاني " [١] .

و الداني (ت٤٤٤هـ) يجعل الفاصلة هي " كلمة آخر الجملة " [٢] . ويعود الداني ليفرق بين الفاصلة و(رؤوس الآي) بقوله :" أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية ، وغير رأس . وكذلك الفواصل يكون رؤوس آي وغيرها . وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية . فالفاصلة تعم النوعين ، وتجمع الضربين " [٣].

ويلاحظ أن الداني في كلامه هذا يؤكد على مبحث الوقف القرآني ، فقد يكون الوقف داخل آية ، فهو عندئذ ليس بفاصلة . أما إذا انتهت الآية ، فالفاصلة هنا رأس آية . إذن الفاصلة عنده على نوعين هما :

١ – **فاصلة داخلية :** تقع في داخل الآيات ، وهي خاضعة لأحكام الوقف والابتداء .

٢ – **فاصلة خارجية :** وهي ما يسمى عنده (رأس الآية) ، وهي خاتمة الآية .

ويرى الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) أن " الفاصلة هي كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر، وقرينة السجع " [٤] . ويضيف الزركشي إلى هذا التعريف رأياً يوضح فيه موضع الفاصلة ومقامها من الأداء إذ يقول : " تقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها . وهي الطريقة التي يباين بها القرآن سائر الكلام ، وتسمى فواصل ، لأنه ينفصل عندها الكلام ، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها أخذا من قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾[٥] ولم يسموها أسجاعا ، ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعا " [٦] .

---

١ – الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ٢٧٠ .

٢ – الداني ، التيسير في مذاهب القراء السبعة ، ٣٢ .

٣– السابق ، ٣٧ .

٤ – الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ١ / ٥٣ .

٥ – سورة فصلت : آية رقم (٣) .

٦ – الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ١ / ٥٤ .

إن مقصد الزركشي هنا هو الإشارة إلى كون الفاصلة حالة خاصة بـالقرآن ، وأحد نطاقات إعجازه وتميزه وتفرده عما سواه . والواضح الجليّ من هذه التعريفات السابقة هو اتفاقها على :

١- كون الفاصلة هي خاتمة الآية وآخرها .

٢- كون الفاصلة متشاكلة المقاطع إيقاعاً .

٣- لها دور في تحسين الكلام ، وهذا هو جوهر عملها .

والسؤال الآن : كيف يمكننا معرفة الفاصلة القرآنية ؟! ونجد الإجابة عند السيوطي إذ ينقل لنا من كتاب " أحكام الرأي في معرفة فواصل الآي " للجعبري الذي ضاع ولم يصلنا ، ونقل منه السيوطي نصوصاً في كتابه " الإتقان في علوم القرآن " . ينقل السيوطي لنا طريقتين لمعرفة تواصل الآيات هما :

الأولى : توقيفية : أي ما ثبت من كونه ﷺ وقف عليه ، فتحقق أنه فاصلة بلا شك . من ذلك ما رواه أبو داود عن أم سلمة رضي الله عنها لما سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ قالت : " كان يقطع قراءته آية آية . وقرأت : (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) [١] .

والمستفاد من الحديث السابق هو كون فعله ﷺ هو المحدّد للوقف في النص القرآني .

أما الطريقة الثانية ؛ فهي قياسية ؛ أي اتّباع أحكام الوقف في النص القرآني . لكن ليس كل وقف في القرآن (فاصلة) ، فالقرآن كله مبني على الوصل لا الوقف والفصل ، ومن ثم كان لابد من طرق ووسائل لمعرفة القياسي من الفواصل . هذه الطرق والوسائل تنبع من النص القرآني ذاته ، إذ يقاس على المنصوص عليه ، فيلحق به ، وذلك للمناسبة ، ولا شيء في ذلك . ولذا سميت هذه الطريقة (بالقياسية) .

فالفاصلة بإجماع الأقوال هي نهاية الآية ،وهي آخر كلمة فيها . وعليها يتحدد بناء الفواصل في السورة القرآنية . فمثلاً :

---

١ - أبو داود ، السنن ، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ ، حديث رقم (١٤٦٦) .

- تُبنى سورة الناس كلها على فاصلة منتهية بحرف (السين) .
- وتُبنى سور القمر والكوثر والعصر والقدر كلّها على فاصلة منتهية بحرف (الراء).
- وتُبنى سورة الشمس كلّها على فاصلة ممدودة بالألف بعدها الهاء الممدودة (ها) .
- وتُبنى سورة المنافقون كلها على فاصلة منتهية بحرف (النون) .
- وتُبنى سورة الفيل كلها على فاصلة منتهية بحرف (اللام) .
- وتُبنى سورتا الأعلى والليل كلها على فاصلة منتهية بحرف (الألف المقصور) .
- وتُبنى سورة الإخلاص كلها على فاصلة منتهية بحرف (الدال) .

ويطلق على هذه الظاهرة (الفواصل المتماثلة) ، وهي التي تتماثل أحرف رويّها [١] .

وقد قسّم العلماء الفواصل القرآنية حسب عدة معايير هي المحددة لنوع الفاصلة في الآي القرآني .

أنواع الفواصل القرآنية :

تتنوع الفواصل القرآنية بحسب مداخل خمسة هي [٢] :

١- أنواعها من حيث حرف الرويّ (الحرف الأخير من الفاصلة) .
٢- أنواعها من حيث طول الفقرة المبنية عليها .
٣- أنواعها من حيث موقع الفاصلة .
٤- أنواعها من حيث مقدارها من الآية .
٥- أنواعها من حيث الوزن .

ونفصل القول في كل مدخل على حدة كما يأتي :

أولاً : أنواع الفواصل من حيث حرف الرويّ :

الرويّ هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه . والرويّ يلتزم بعينه في

١- ينظر : الرماني ، النكت ، ٩٠ – ابن سنان ، سر الفصاحة ، ٢٠٣ – السيوطي ، الإتقان، ٢ / ١٠٥ . – ابن القيم ، بدائع الفوائد ، ١/ ٨٨ .

٢- ينظر : د . محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، ١٤٥– ١٦٢.– د . عيد شـــبايك ، الفاصلة القرآنية بين المبنى والمعنى ، ٥٠ – ٦٨ .

سائر أبياتها . يقول ابن رشيق : " حرف الرويّ الذي يقع عليه الإعراب ، وتبنى عليه القصيدة ، فيتكرر في كل بيت وإن لم يظهر فيه الإعراب لسكونه " [١] .

هذا في جانب الشعر ، أما في النص القرآني فلم تلتزم الآيات حرف رويّ واحد ، وإنما كان تنوعها مناط إعجازها . وقد تنوعت الفاصلة القرآنية حسب حرف الروي إلى ثلاثة أنواع هي :

١- المتماثلة [٢]: وهي التي تماثلت حروف رويّها ، كقوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾ [٣].

٢- المتقاربة [٤] : وهي المبنية على حروف متقاربة المخارج صوتياً ، مثل قوله تعالى في سورة الفاتحة : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ الآيتان رقم (٢، ٣) فحرفا الميم والنون متقاربان في المخرج .

٣- المنفردة : وهي نادرة ، فلم تتماثل حروف رويها ، ولم تتقارب ، مثل : فاصلة آخر سورة الضحى ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ آية رقم (١٢) . فهي على حرف (الثاء) وما قبلها على حرف (الراء)، فلا تماثل ولا تقارب هنا .

ويلاحظ أن أغلب فواصل القرآن على النوعين الأول والثاني من حروف الرويّ.

١- ابن رشيق ، العمدة ، ١ / ١٥٤ .

٢- سماها الرماني بالمتجانسة ، وسماها الخفاجي والزركشي والسيوطي " بالمتماثلة " وسماها ابن القيم ذات المناسبة التامة . ينظر : الرماني ، النكت ، ٩٠.- ابن سنان ، سر الفصاحة ، ٢٠٣ .- الزركشي ، البرهان ، ٧٣٨ .- السيوطي ، الإتقان ، ٢/ ١٠٥. - ابن القيم الجوزية ، بدائع الفوائد ، ١ / ٨٨ .

٣- سورة الطور : الآيات من (١- ٣) .

٤- سماها الرماني ، والخفاجي ، والزركشي ، والسيوطي (بالمتقاربة) ، وسماها ابن القيم (ذات المناسبة غير التامة) . ينظر : الرماني ، النكت ، ٩٠ .- ابن سنان ، سر الفصاحة، ٢٠٤ .- الزركشي ، البرهان ، ١/ ٧٣.- السيوطي ، الإتقان،٢/ ١٠٤.- ابن القيم ، بدائع الفوائد ، ٨٩/١ .

ويرى د. محمد الحسناوي أنّ " الفواصل المتماثلة تشيع في الآيات والسور المكية، على حين تغلب المتقاربة على الآيات المدنية " [١] . ولعل مردّ ذلك هو تحقيق الجذب الإيقاعي والموسيقي عن طريق هذا التماثل في الفواصل في صدر الإسلام ، ليحقّق هذا الإيقاع نوعاً من الإبهار ، ومن ثمّ يستشعر الكفار حلاوة النصّ وينجذبوا إليه ، فيدخلوا في دين الله أفواجا .

ثانياً : نوع الفاصلة من حيث طول الفقرة :

يقصد بالفقرة في القرآن ؛ الآية ، وهي على ثلاثة أنواع [٢] :

١- قصير موجز : وهو ما يتكون من لفظ واحد ، أو من عدد من الحروف كقوله تعالى :﴿الرَّحْمَنُ ﴾ سورة الرحمن آية رقم (١) ، و﴿الْحَاقَّةُ﴾ الحاقة آية رقم (١) ، و﴿ألَم﴾ سورة البقرة آية رقم (١) .

٢- متوسط معجز : وهو ما تكون من لفظين ، مثل قوله تعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ سورة النجم الآيتان (١ ، ٢) .

٣- طويل مفصح مبين : وهو بقية آيات القرآن ، إذ قد تصل آية ما إلى (عشرين لفظا) كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ سورة هود الآيتان (٩ ، ١٠) .

ثالثاً : نوع الفاصلة من حيث موقعها :

ويقصد بموقع الفاصلة ؛ أن هناك كلمات في الآية تتشاكل وتتماثل مع الفاصلة الأخيرة فيها . هذا التماثل يمنح هذه الكلمات الداخلية صفة (الفاصلة الداخلية) . وعلى هذا تقسم الفاصلة إلى :

---

١ - د . محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، ١٤٦ .

٢ - ابن قيم الجوزية ، الفوائد المشوق لعلوم القرآن ، ٢٥٥ - ٢٢٨ .

١- الفاصلة الداخلية : وهي ما يسميها ابن حجة بالتشريع ، ومعناها : أن يبني الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض ، فإذا أسقط جزءاً أو جزأين صار الباقي بيتا من وزن آخر [١] .

وتتحدد الفاصلة الداخلية وفقا لمقررات الوقف القرآني ، وتفصيلات أحكامه التي فصّلها علم التجويد والتلاوة .وتقسم الفاصلة الداخلية قسمين هما :

الأول : داخلية متماثلة ، مثل قوله تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ سورة الروم آية رقم (٧) ، فالتماثل هنا واضح بين الفاصلة الداخلية (تمسون) والفاصلة الخارجية (تصبحون) من حيث الاتفاق في حرف الروي (الواو والنون) .

والثاني : داخلية متباعدة ، وعليها قوله تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة المائدة آية رقم (١٠١) ، فالفاصلة الداخلية هنا (العقاب) غير متماثلة تماما مع الفاصلة الخارجية (رحيم) .

٢- الفاصلة الخارجية : وهي مناط الفائدة ، ومحور الآيات .

رابعاً : نوع الفاصلة من حيث مقدارها من الآية :

والمقصد هنا يقوم على كون الفاصلة آية أو بعض آية وعليه بقية آيات القرآن . ويمكن أن ندمج هذا النوع في النوع الثاني المتعلق بتقسيم الفاصلة حسب طول الفقرة، إذ أنهما يتمحوران حول جزئية متحدة لا جديد في هيكلها .

خامساً : نوع الفاصلة من حيث الوزن :

وهذا النوع ينحو منحى التقسيم الوارد في أنواع السجع ، وخاص به . لكننا هنا لا نمنع إقامة الفواصل على مثل هذا التقسيم إمعانا في إثبات فرادة النص القرآني على غيره ، واشتماله على ما في كلام العرب ، بل وزيادة عليه .

---

١ - ينظر : ابن حجة ، خزانة الأدب ، ١١٩ .

وتقسم الفاصلة حسب الوزن إلى [١] :

١- المطرّفة : وهي ما اتفقت في حروف الروي لا الوزن ، كقوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ سورة نوح الآيتان رقم (١٣ ، ١٤) فالكلمتان (وقارا) و (أطوارا) متفقتان في (الرويّ) ومختلفتان في (الوزن) فالأولى على (فَعَالا) والثانية على (أفْعَالا) .

٢- المتوازية : وهي الفواصل التي اتفقت في حروف الروي والوزن ، كقوله تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ سورة الغاشية الآيتان رقم (١٣ ، ١٤) ، فالكلمتان (مرفوعة) و(موضوعة) متفقتان في حرف الرويّ والوزن .

٣- المتوازنة : وهي ما اتفقت في الوزن دون حرف الروي ، مثل قوله تعالى : ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ سورة الغاشية الآيتان (١٥ ، ١٦) ، فالكلمتان (مصفوفة) و (مبثوثة) متفقتان في الوزن على وزن (مَفْعُولة) دون حرف الرويّ . فهما مختلفتان فيه .

٤- المرصّعة : وهي تَقَابُل الآيتين بكل مفرداتهما واختلافهما . فالأساس هنا لابد وأن يشتمل على تقابل الوزن والتقفية والدلالة ، وعليه قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ سورة الغاشية الآيتان رقم (٢٥ ، ٢٦) فالتشريح التركيبي للآيتين هكذا :

(إن / إلينا / إيابهم) .

(إن / علينا / حسابهم) .

(إلينا) مقابل (علينا) وزناً وقافية ، و(إيابهم) مقابل (حسابهم) وزناً وقافية .

٥- المتماثلة : وهي أن تتساوى الآيتان في الوزن دون التقفية ، وتكون مكونات كل آية مقابل الأخرى وزناً وقافية ، كقوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ سورة ص الآيتان رقم (١١٧ ، ١١٨) فكلّ مفردة في الآيتين

---

١ - ينظر : ابن قيم الجوزية ، الفوائد ، ١/ ٧٦ . - ابن أبي الإصبع ، بديع القرآن ، ١٠٧.

على الوزن نفسه دون القافية .

تلك هي أنواع الفواصل حسب تنوع مداخل هذه الأنواع .

وللفاصلة بُعدُ جماليّ تؤديه من خلال إيضاح فنيات التناسب الجمالي بين كلمة الفاصلة وبقية السياق في الآية القرآنية . يقول د. صلاح الخالدي :" القاعدة الأساسية في فواصل الآيات أنّ فاصلة الآية متوافقة مع كلماتها ، ومتناسبة مع موضوعها ، وأنّ ختام الآية بالفاصلة يكون ختاماً موضوعياً متناسباً معها " [١] .

وهذا ما نلمسه في آي القرآن الكريم ، فسياق آيات البشارة يختم بفاصلة جمالية تناسب هذا المقام ، فنجدها لفظة دالة على الرحمة والمغفرة . أما سياق آيات التهديد والوعيد فنجده يختم بلفظة دالة على التخويف كي يرتدع من يسمع مثل هذا السياق . يقول د. عبد الفتاح لاشين : " الفاصلة في الآيات القرآنية تأتي مستقرة في قرارها ، مطمئنة في مواضعها ، غير نافرة ولا قلقة ، يتعلق معناها بمعنى الآية كلها ، بحيث لو طرحت لاختلّ المعنى ، فهي في مكانها تؤدي جزءاً من معنى الآية ، ينقص ويختلّ بنقصانها " [٢] .

وهذه المناسبة الحادثة بين الفاصلة وسياق الآية فضيلة أخرى تضاف إلى فضائل عدة ، إذ الآية بسياقها الدلالي والنصي تكون في اتجاه دلالي محدّد يحتّم اختيار لفظة بعينها لتكون فاصلة ، وهي أليق بهذا المقام من غيرها .

هذا فضلاً عن الفضيلة الإيقاعية التي تتشابك بها الفاصلة مع قريناتها في السورة القرآنية . يقول د . أحمد أبو زيد : " إذا كان الله سبحانه قد اختار للقرآن ترتيلاً تبدو فيه نغمة ألفاظه ورنينها وجرسها ، فلا بدّ من أن تكون ألفاظه قد اختيرت لمزية في كلّ كلمة ، لا في مجموعها ونظمها فحسب . وهذا الحكم إن كان ينطبق على سائر ألفاظ القرآن ، فإنه ينطبق بالأحرى على الكلمات التي تقع في فواصل الآيات ، فهذه

١- د. صلاح الخالدي ، إعجاز القرآن البياني ، ٣٢٠ .

٢- د. عبد الفتاح لاشين ، الفاصلة ، ٤٤ .

أولى بالعناية لأنها تجمع بين الوظيفتين ؛ المعنوية والإيقاعية . وبلاغة الكلام تقتضي أن يراعى في اختيارها أن تكون قادرة على الوفاء بحق المعنى ، وحق التناسب الإيقاعي في آنٍ واحد " [١] .

علاقات الفاصلة القرآنية بسياق الآية قبلها :

للفاصلة القرآنية بسياق الآية قبلها علاقات متعددة يحددها مسار السياق ، وتتحدد بناءً عليه مقصدية الفاصلة من حيث تضامها الدلالي مع هذا السياق . ويطلق على هذه العلاقات مسميات عدة . فقدامة بن جعفر (ت ٣٧٠ هـ) كان أول من تناول علاقات لفظة النهاية (الفاصلة في القرآن ، أو القافية في الشعر) بما يسبقها من كلام، وأطلق عليها (نعت ائتلاف القافية مع ما يدلّ عليه سائر البيت) ، وعرّفه بقوله: " أن تكون القافية معلّقة بما تقدّم من معنى البيت تعلّق نظم له ، ملائمة لما مرّ فيه " [٢] .

وكلام قدامة هنا يدور في إطار الشعر فقط ، إذ يجعل من لفظة القافية مؤشراً دلالياً وجمالياً في علاقته مع سائر ألفاظ البيت ، بما يحدث تواشجاً معنوياً ونصياً .

ويرى الزركشي أنّ للفظة الفاصلة علاقات جمالية بسياق الكلام في الآية قبلها . يقول : " اعلم أنّ من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله ، فلا بدّ أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً ، وإلاّ خرج بعض الكلام عن بعض . وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ، لكن منه ما يظهر ، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب " [٣] .

وعلاقات الفواصل بحثها البلاغيون في مناسبات شتى ، وبمسميات متنوعة . فهي عند ابن أبي الإصبع (ت ٦٥٤ هـ) تحت مسمى (ائتلاف القافية مع ما يدلّ عليه

١- د. أحمد أبو زيد ، التناسب البياني في القرآن ، ٣٥٦ .

٢- قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ١٦٧ .

١- الزركشي ، البرهان ، ٢ / ١١٠ .

سائر البيت) [١] ، وعند العلوي (ت ٧٢٩ هـ) تحت مسمّى (الائتلاف) [٢] ، وعند ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ) تحت مسمّى (التمكين) [٣] ، وعند ابن معصوم المدني (ت ١١٢٠ هـ) باسم (التمكين) [٤] . يقول ابن أبي الإصبع : " كلّ فواصل الكتاب العزيز بين تمكين ، وتوشيح ، وإيغال ، وتصدير " [٥] .

والفروق بين هذه العلاقات إنما هي فروق في الترتيب الموقعي للفظة الفاصلة ، ثم في لفظة التناسب مع الفاصلة في سياق الآية ، فإذا كان هناك لفظ بعينه قد تقدم في أول الآية ، وهو يناظر لفظة الفاصلة مشاكلة لفظية ، فإن لفظة الفاصلة تحكمها حينئذ علاقة (التصدير) .

وإذا كان لفظ التناسب داخلاً في صدر الآية ، ومناسباً للفظة الفاصلة مناسبة لفظية أيضاً ، سميت علاقة الفاصلة بهذه اللفظة (التوشيح) .

وإذا أفادت الفاصلة بلفظها معنى جديداً زائداً على ما تؤديه اللفظة المشاكلة لها في سياق الآية بعد تمام المعنى ، سميت علاقة الفاصلة حينئذ (الإيغال) .

وإذا كان هناك تمهيد سياقي ودلالي للفظة الفاصلة في نسيج الآية قبلها ، فإنّ ذلك التمهيد يعدّ تمكيناً للدلالة التي تؤديها الفاصلة ، ولذا تكون العلاقة المقتضية لهذا السياق الدلالي علاقة (التمكين) .

ويستلزم الأمر منا أن نفصّل القول في كلّ علاقة على حدة .

أولاً : علاقة التمكين

جاء في لسان العرب : " مَكُن مكانه فهو مكين ، وتمكّن مثل مَكُنَ ، وتمكّن

٢- ابن أبي الإصبع ، تحرير التحبير ، ٢٢٤ .

٣- العلوي ، الطراز ، ٢٤٤ .

٤- ابن حجة ، خزانة الأدب ، ٤٣٨ .

٥- ابن معصوم المدني ، أنوار الربيع ، ٦ / ٧٥٩ .

٦- ابن أبي الإصبع ، تحرير التحبير ، ٢٢٥ .

بالمكان، وتَمكّنه أي : ثبت فيه ، وتمكّن من الشيء واستمكن : ظفر "[١] .

والتمكين في الفاصلة " أن يتم تمهيد السياق تمهيداً تأتي به الفاصلة ممهدة في مكانها ، مستقرة في قراراها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً بحيث لو طُرِحَت اختلّ المعنى ، واضطرب الفهم"[٢] .

* ومن الأمثلة القرآنية الدالة على علاقة التمكين في الفاصلة قوله تعالى في سورة الأحزاب : (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) .

ففي الآية الكريمة فاصلة هي كلمة (عزيزاً) ، وهي الفاصلة الخارجية . وفيها أيضاً فواصل داخلية تتضح من سياقات الوقف القرآني دلالة على تمام المعنى في الجمل القرآنية داخل الآية . فكلمات (بغيظهم – خيراً – القتال) كلها فواصل داخلية يجوز الوقوف عليها رغبة في التلميح إلى غرض جمالي معيّن ، أو للإشارة إلى لمحة سياقية محددة .

ومسار الدلالة في الآية قائم على إيضاح المنّة الإلهية بنعمة النصر السالم للمصطفى ﷺ وأصحابه في غزوة الأحزاب . يقول أبو حيّان (ت ٧٤٥ هـ) : " (وردَ الله الذين كفروا) أي : الأحزاب عن المدينة إلى بلادهم . (بغيظهم) أي : مغيظين ، فهو حال والباء للمصاحبة . ،(لم ينالوا) حال ثانية ، أو من الضمير في (بغيظهم) فيكون حالاً متداخلة . (وكفى الله المؤمنين القتال) بإرسال الريح والجنود

١- ابن منظور ، لسان العرب ، (مكن) .

٢- د. محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، ٢٨٦ . وينظر : د. عيد شبايك ، الفاصلة القرآنية ، ٢٤١ . – ابن أبي الإصبع ، بديع القرآن ، ١١٧ . ابن الأثير ، جوهر الكنز ، ٢٠٠ . – السيوطي ، معترك الأقران ، ١ / ٣٩ .– السيوطي ، شرح عقود الجمان ، ١٥٥ . – الحلي ، شرح الكافية البديعية ، ٢٦٧ .

وهو الملائكة ، فلم يكن قتال بين المؤمنين والكفار " [١] .

ونلحظ أن المعنى المستفاد لدلالة النصر يكتمل عند قوله تعالى : (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) ، لكن تبقى هذه الدلالة غير مكتملة جمالياً ، إذ ربّما يظنّ ظان أنّ النصر الذي حدث إنما كان بتأثير الريح التي عصفت بأهل الكفر وجموع الأحزاب ، وشرّدتهم بأموالهم ودوابهم ، وذلك متفق مع طبيعة الأشياء من وجهة نظر الكافرين ، إذ الطبيعة هي التي فعلت بهم هذا وليس إله محمد ﷺ. فلذا كان لا بدّ من تمكين المعنى في النفوس ، وتذييل الآية بما تدلّ على مطلق القدرة الإلهية ، وعزة الله سبحانه وتعالى التي آزرت المصطفى ﷺ وأصحابه في هذا الموقف العصيب ، فجاءت العبارة القرآنية جميلة الدلالة ، عظيمة التأثير بقوله تعالى : (وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) .

* ومن الأمثلة القرآنية الدالة على تمكين الفاصلة أيضاً قوله تعالى في سورة هود : (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧)) . يقول ابن أبي الإصبع : " إنّ هذه الآية لما تقدّم فيها ذكر العبادة ، والتصرّف في الأموال ، كان ذلك تمهيداً تاماً لذكر الحلم والرشد ، لأنّ الحلم : العقل الذي يصحّ به التكليف ، والرشد : حسن التصرّف في الأموال " [٢] .

فالفاصلة في الآية الكريمة مبنية على لفظة (الرشيد) ، لكنّها وردت في سياق متتابع للصفات ومتضافر مع صفة أخرى هي (الحليم) ، ولذا كان لا بدّ من تعليق كل صفة بما يناسبها من دلالات في السياق السابق عليها في الآية . فالحليم الراجح العقل يناسبه معنى قوله تعالى : (أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) ، والرشيد الذي أوتي رشداً في التصرف المالي يناسبه معنى قوله تعالى : (أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) . وهذا التناسب الدلالي والمعنوي مهّد لسياق الفاصلة أجمل تمهيد فمكنها في موضعها أيما تمكّن ، إذ تعلقت الفاصلة في موضعها بدلالات السياق في الآية .

ويلمح الباقولي الأصبهاني (ت ٥٣٤هـ) إشارة جمالية في سياق الآية تساعد على

١- أبو حيان ، النهر الماد ، ٣ / ٧٢٣ .

٢- ابن أبي الإصبع ، تحرير التحبير ، ٢٢٤ .

فهم مسار التناسب الحادث بين السياق وفاصلته. يقول : " ليس قوله : (أوْ أنْ نفعل) معطوفاً على قوله : (أنْ نَتْرُكَ) كما نظنّه ، لأن المعنى حينئذ فاسد ،لأنه يصير التقدير : أصلاتك تأمرك بأحد هذين ، وليس المعنى على هذا ، وإنما المعنى : أصلاتك تأمرك بترك هذين . و (أو) ههنا بمنزلتها في قولك : جالس الحسن أو ابن سرين " [١] .

فالباقولي هنا يجعل من توالي الجمل مقترنة بحرف (أو) ليس هذا عطفا بالمعنى العام ، إنما هو دلالة على الأمر ، إذ يصير المعنى هكذا :

- (نهي) --- أصلاتك تأمرك أن تنهانا عما يعبد آباؤنا -------- (ترك).

- (نهي) -- أصلاتك تأمرك أن تأمرنا بالتصرف في أموالنا كما نشاء -- (ترك) .

فناسب هذا التقسيم أن تأتي الفاصلة ممكّنة بقوله (الحليم الرشيد) ، وملائمة في دلالاتها لسياق كل أمر (نهي) .

ثانياً : علاقة التصدير :

التصدّر : نصْب الصدر في الجلوس ، وصدرَ عن كتابه : جعل له صدراً . وصدّره في المجلس فتصدّر . والتصدير : حزام الرحل والهودج [٢] .

وللتصدير مسميّات أخرى منها : ردّ العجز على الصدر ، أو ردّ الكلام على صدره . وهو " أن يبدأ الشاعر بكلمة في البيت في أوله أو عجزه أو في النصف منه ثم يرددها في النصف الأخير ، فإذا نظم الشعر على هذه الصنعة تهيأ استخراج قوافيه وقبل أن يطرق أسماع مستمعيه ، وهو الشعر الجيد " [٣] .

ويعرفه ابن أبي الإصبع بأنه" عبارة عن كل كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية - غالباً - ، أو معنوية - نادراً - تحصل بها علاقة الملائمة والتلاحم بين قسمي كل

١- الباقولي الأصبهاني ، كشف المشكلات ، ١ / ٥٨٨ .

٢- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صدر) .

١- الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ١ / ١٦٢ .

كلام "[١] .

ويجعل البلاغيون لهذا الفن أقساماً في النثر وأخرى في الشعر[٢].

وما يهمنا هنا هو أقسامه في النثر ، إذ جعلوها على أربعة أقسام هي[٣]:

الأول : أن يكون اللفظان مكررين باللفظ والمعنى ، كقوله تعالى في سورة الأحزاب : (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) آية رقم (٣٧) .

وقوله تعالى في سورة النحل: (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨)) .

والثاني : أن يكون اللفظان متجانسين يجمعهما التشابه الخطي ويفترقان في الدلالة المعنوية كما في قوله تعالى من سورة الروم : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) آية رقم (٥٥) .

وقوله تعالى في سورة النور : (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤).

والثالث : أن يجمع بين اللفظين قرينة الاشتقاق الصرفي من أصل مادة لغوية واحدة مثلما نجد في قوله تعالى من سورة نوح: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)).

وقوله تعالى في سورة التوبة : (ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ(١٢٧)) .

والرابع : أن يجمع بين اللفظين قرينة شبه الاشتقاق الصرفي ، أو التشابه الخطي فقط

٢- ابن أبي الإصبع ، بديع القرآن ، ٣٦ .

٣- ينظر : ابن المعتز ، البديع ، ٤٧ . - ابن أبي الإصبع ، تحرير التحبير ، ١١٧ . - المظفر العلوي ، نضرة الإغريض ، ١٠٤ . - الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ١ / ١٦٢ . - ابن رشيق ، العمدة ، ٢ / ٣. - ابن منقذ ، البديع في نقد الشعر ، ٥١ . - البغدادي ، قانون البلاغة ، ٤٠٩ . - ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب ، ١١٤ .

٤- ينظر : السجلماسي ، المنزع البديع ، ٤٠٦ . - ابن الأثير ، كفاية الطالب ، ١٤١ . - ابن معصوم ، أنوار الربيع ، ٣ / ٩٤ . - ابن البناء ، الروض المريع ، ١٦٢ .

في شكل المادة دون التماثل في مبناها أو معناها ، مثلما نجد في قوله تعالى في سورة الشعراء : (قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨)) . إذ اللفظة الأولى (قال) من مادة (قول) ، واللفظة الثانية (القالين) من (قلى) أي البعد والهجر . وبينهما إيهام بالتشابه الخطي عن طريق شبه الاشتقاق اللغوي ، مع اختلاف تام في الدلالة .

* ومنه قوله تعالى في سورة التوبة : (مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ) آية رقم (٣٨) .

* وقوله تعالى في سورة الرحمن : (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤)) .

موقع لفظي التصدير :

أما فيما يخص موقع اللفظين في جملة التصدير ، فنقرر أن اللفظة الثانية هي دوما الفاصلة ؛ داخلية أو خارجية . أما اللفظة الأولى في جملة التصدير فتتخذ ثلاثة مواضع هي [١] :

الأول : أن تكون في صدر الآية كما في قوله تعالى في سورة آل عمران : (وهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)) . إذ بين كلمتي (هب) الأولى ولفظة الفاصلة(الوهاب) علاقة اشتقاق صرفي من مادة لغوية واحدة هي (وهب) .

وعليه قوله تعالى في سورة طه : (قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (٦١)) . فبين لفظة الصدر (تفتروا) ولفظة الفاصلة (افترى) علاقة اشتقاق صرفي من مادة لغوية واحدة هي (فري) .

الثاني : أن تكون اللفظة الأولى في آخر صدر الآية كما في قوله تعالى من سورة النساء: (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦)) . فالكلمة الأولى (يشهدون) واقعة في نهاية صدر الآية ، وبينها وبين الفاصلة (شهيداً) علاقة اشتقاق صرفي من مادة لغوية واحدة هي (شهد) .

الثالث : أن تكون اللفظة الأولى في أي موضع من الآية عدا الصدر ونهايته ، وذلك

١- ينظر : ابن المعتز ، البديع ، ٩٣ – ٩٤ . – د. محمد الحسناوي ، الفاصلة ، ٢٩٠ .

مثل قوله تعالى في سورة الأنعام : (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)) . فالكلمة الأولى (استهزئ) واقعة في حشو الآية بعيدة عن الصدر ونهايته، ومتوافقة اشتقاقياً مع لفظة الفاصلة (يستهزؤون)، إذ هما ما مادة لغوية واحدة هي (هزأ) .

وعليه قوله تعالى في سورة الإسراء : (انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)) .

وعموماً فإنّ علاقة لفظة الفاصلة المصدّرة باللفظ الأول السابق عليها في سياق الآية تقوم على فنية التواشج والتعالق النصي لما بينهما من اشتراك في أصل الاشتقاق اللغوي ، ثم لما بينهما من فضيلة التكرار اللفظي مع بعض الاختلاف في الهيئة التي يظهر عليها كلا اللفظين .

ثالثاً : علاقة التوشيح

يسمى هذا اللون من علاقات الفاصلة بالتوشيح لأن الكلام نفسه يدلّ بسياقه واتجاه الدلالة فيه على استنباط لفظة الفاصلة ، فينزّل المعنى الدلالي للفظة الفاصلة بمنزلة الوشاح الذي هو : شيء يُنسَج من أديم عريض ويرصّع بالجواهر ، وتشدّه المرأة بين العاتق والكشح [١] .

وينزل أوّل الكلام أو بقية سياق الدلالة في الآية منزلة العاتق والكشح الذي يغطيه الوشاح ، ولذا تُعلّم الفاصلة فيها قبل ذكرها اللفظي ، لأن مسار السياق الدلالي يتوجه إليها بكل دفقاته النصية والبلاغية . يقول قدامة : " هو أن يكون أوّل البيت شاهداً بقافيته ، ومعناها متعلقاً به حتى إنّ الذي يعرف القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره ، وبانت له قافيته " [٢] .

١- ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (وشح) .

١- قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ١٦٧ .

و تسمى هذه العلاقة عند البلاغيين الإرصاد والتسهيم [١] . يقول أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) : " سمي هذا النوع توشيحاً ، وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى ، ولو سمي (تبييناً) لكان أقرب . وهو أن يكون مبتدأ الكلام ينبئ عن مقطعه ، وأوّله يخبر بآخره ، وصدره يشهد بعجزه ، حتى لو سمعت شعرا ، أو عرفت رواية ، ثم سمعت صدر بيت منه وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع إليه "[٢].

فهو هنا يجعل للتوشيح تسمية أقرب إلى وظيفته الدلالية وهي تبيان التعالق النصي للفظة الفاصلة (العجز) مع لفظة (الصدر) . وهذا التعالق هو محور علاقة هذا النوع من جماليات العلاقة في الفاصلة القرآنية .

ويخرّج على هذا اللون من العلاقات قوله تعالى في سورة يونس : ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)﴾. فلفظة الفاصلة (يختلفون) تتشاكل لغوياً ودلالياً مع لفظة أخرى في سياق الآية وهي(اختلفوا) ، وفصل بينهما سياق دلالي يتكون من (١٠ عشر كلمات) جاءت في تسلسل نصي مساعدة للوصول إلى لفظة التوشيح ، أي جعلت من استنباط لفظة الفاصلة أمراً واجباً من خلال هذا السياق النصي . يقول أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) : " إذا وقفت على قوله تعالى : (فيما) عرف منه السامع أنّ بعده (يختلفون) لما تقدّم من الدلالية عليه " [٣] .

فالسياق النصي في الآية هو الذي يؤدي إلى تشكّل مثل هذه العلاقة .

٢- ينظر : الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ١٤٠ . – ابن رشيق ، العمدة ، ٢ / ٣١ . – ابن سنان ، سرّ الفصاحة ، ١٨٧ . – ابن أبي الإصبع ، تحرير التحبير ، ٢٢٨ . – القرطاجني ، منهاج البلغاء ، ٩٤ . – التنوخي ، الأقصى القريب ، ١١١ . – الجرجاني ، الإشارات والتنبيهات ، ٢٧١ . – السبكي ، عروس الأفراح ، ٢ / ٤٠٦ . – الحموي ، خزانة الأدب ، ١٢٦ .

٣- أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ٤٢٥ .

١- أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ٤٢٦ .

ونلاحظ أنّ القزويني (ت ٧٣٩ هـ) يجعل معرفة لفظ الفاصلة مستنداً بشكل أساس على معرفة حرف الرويّ قبلها فيما يسبقها من آيات ، مما يؤدي بالضرورة إلى بناء لفظة الفاصلة على حرف رويّ محدد مناسب تماماً لما يسبقها من فواصل مبنية على حرف الرويّ ذاته . يقول القزويني : " أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدلّ على العجز إذا عُرِفَ الرويّ " [١] .

أي أنّ لفظ الفاصلة (يختلفون)في الآية السابقة يتحدّد شكله البنائي تبعاً لما يسبقه من ألفاظ فواصل الآيات السابقة وهي(تعقلون – المجرمون – يشركون) في الآيات رقم (١٦ – ١٧ – ١٨) من سورة يونس . ولذا يصير لفظ الفاصلة (يختلفون) وليس(اختلافاً) أو (اختلفوا) أو غير ذلك . يقول ابن يعقوب (ت ١١٢٨ هـ) : " عُرِفَ أنّ العجز هنا (يختلفون) من معرفة الرويّ ، وأنه نون بعد الواو كما كان ذلك في هذه الآية وفيما بعدها ، ولولا تلك المعرفة لتوهّم أن العجز هو (فيما فيه اختلفوا) ليطابق قوله : (فاختلفوا) ، لكن معرفة الرويّ أعانت على ذلك " [٢] .

ونلحظ أنّ هذه النظرة البنائية هي التي تجعل من فاصلة الآية الكريمة فاصلة موشّحة وليست فاصلة مصدّرة ، وذلك لأنّ الشرط هنا إضافة إلى التشاكل اللفظي قائم على ضرورة مناسبة رويّ الفواصل السابقة ، والبناء على نهج مماثل لها في هذا الرويّ .

وعلى هذا يخرّج قوله تعالى في سورة العنكبوت : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)) . إذ جاءت لفظة الفاصلة (يظلمون) على علاقة التوشيح ، متناسبة مع سياق الآية ، ومتواشجة مع لفظة (ليظلمهم) السابقة عليها في السياق دلالياً وبنائياً . يقول ابن عربشاه (ت ٩٤٣ هـ) : " الاستدراك من قوله : (وما كان الله ليظلمهم) يدلّ على العَجُز " [٣] .

٢- القزويني ، الإيضاح ، ٣٠٨ .

٣- ابن يعقوب ، مواهب الفتاح ، ٢ / ٢٠٥ . وينظر : ابن عربشاه ، الأطول ، ٢ / ٣٨٧ .

١- ابن عربشاه ، الأطول ، ٢ / ٣٨٧ . وينظر : البابرتي ، شرح التلخيص ، ٦٢٢ .

وسياق بناء الفواصل في الآيات السابقة على هذه الآية مبنيّ على حرف رويّ متّحدّ هو (النون) كما في الآيات من (٢٧ – ٣٩) ، فجاءت هذه الفاصلة متناسبة في حرف الرويّ مع السياق السابق عليها . يقول ابن يعقوب : " مادة العَجُز دلّ عليها قوله تعالى : (وما كان الله ليظلمهم) ، إذ يفهم منه بعد قوله : (ولكن كانوا أنفسهم) أنّ العجز هو من مادة الظلم ، إذ لا معنى لقولنا مثلاً : (وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم ينفعون أو يمعنون من الهلاك) أو نحو ذلك . ويعيّن كون المادة من الظلم مختومة بنون بعد واو معرفة الرويّ الكائن فيما قبل الآية " [١] .

هذا فيما يتعلق بعلاقة التوشيح في الفاصلة القرآنية .

إضاءة :

قسّم الطيبي (ت ٧٤٣ هـ) التوشيح أو الإرصاد قسمين هما [٢] :

الأول : التوشيح ذو الدلالة اللفظية : وهو ما سبق إيضاحه آنفاً بالأمثلة القرآنية .

والثاني : التوشيح ذو الدلالة المعنوية : ويقصد به كون لفظ الفاصلة غير متشاكل لفظياً مع ألفاظ الآية ، والسياق السابق عليه ، بل إن تشاكله يكون من قبيل المعنى فقط وذلك إن كان . وذلك مثل قوله تعالى في سورة آل عمران : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣)) . وذلك لأنّ من لوازم اصطفاء الشيء أن يكون مختاراً على جنسه أو نوعه .

ولهذه الإشارة الجميلة مغزاها ، إذ يمكننا عدّ القسم الأول من قسمي التوشيح هو الفاصلة المرشّحة ، في حين يكون القسم الثاني منها ذو الدلالة المعنوية داخلاً في سياق التعقيبات القرآنية موضوع هذا البحث ، وهو ما سيتمّ إيضاحه في موضعه .

رابعاً : علاقة الإيغال

وَغَلَ في الشيء وغولاً : دَخَلَ فيه وتوارى . ووَغَلَ : ذهبَ وأبْعَدَ . وكذلك أوْغَلَ في

٢- ابن يعقوب المغربي ، مواهب الفتاح ، ٢ / ٥٠٣ .

٣- ينظر : الطيبي ، التبيان في البيان ، ١٩٠ .

البلد ونحوها . وتوغّل في الأرض : ذهب فأبْعد فيها [١] .

ويسمى أيضاً (التبليغ) .سميَ بذلك لأن المتكلم حين يعرض كلامه يتجاوز فيه المعنى الذي هو بصدده ، ويبلغ الزيادة على الحدّ المطلوب . وهو في معجم المصطلحات البلاغية : " ختم الكلام نثراً كان أو نظماً بما يفيد نكتة يتمّ المعنى بدونها"[٢] .

ويرى ابن رشيق (ت ٤٦٠ هـ) أنه " ضرب من المبالغة ، إلا أنه في القوافي خاصة لا يعدوها ، والحاتمي وأصحابه يسمونه تبليغاً " [٣] .

وأهل البلاغة من المتأخرين يجعلون هذه المبالغة التي قصدها ابن رشيق على ثلاثة أقسام هي [٤] :

الأول : المبالغة ؛ وهي وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عقلاً وعادة مما يشاهد.
والثاني : الإغراق ؛ وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عقلاً وعادة . أي يصعب وقوعه وحدوثه لكنه قد يقع .
والثالث : الغلو ؛ وصف الشيء بما يستحيل وقوعه ، لأنه غير متحقق أصلاً .

وهذا اللون من علاقات الفاصلة له فائدة نصية في سياق الآية تتخلص في كونها تتميم فوق تمام المعنى . فمثلاً قوله تعالى في سورة المائدة : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)) . الفاصلة هنا كلمة (يوقنون) وهي متواشجة دلالياً مع كلمة قبلها هي (لقوم) ، وجاءت الفاصلة صفة لها ، ولذا لا يصح انفراد أحدهما عن الآخر في السياق . وقد تمّ المعنى في السياق عند قوله تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا) ، إذ ليس وراء هذه الدلالة المتوقعة من هذا التركيب أي

١- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (وغل) .
٢- د. أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية ، ٢١٦ .
٣- ابن رشيق ، العمدة ، ٢ / ٥٧ . وينظر : - الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ١ / ١٢٥ .
٤- ينظر : الحاتمي ،حلية المحاضرة ، ٣٩ .- ابن النقيب ، مقدمة التفسير ، ٤٠٦ .- الحلي، شرح الكافية ، ١٥٠.

إيضاح آخر . يقول أبو حيّان : " المعنى أن حكم الله هو الغاية في الحقّ وفي العدل . وهو استفهام معناه التقرير ، ويتضمن من التنكير عليهم " [١] .

فتمام الكلام عند هذه الجملة يكفي ، لكن تمام المعنى إيغالاً في الإتمام ، ورغبة في إدراك جمالية التناسب بين الفواصل المبنية على حرف الرويّ (النون) في الآيات السابقة على الآية واللاحقة لها . يقول د. محمد الحسناوي : " إن الكلام تمّ بقوله : (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا) ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى ، فلماّ أتي بها أفاد معنى زائداً " [٢] .

والمصطلحات البلاغية التي تتشابك مع علاقة الإيغال متعددة منها : التكميل ، والتتميم ، والتذييل . والفروق الدلالية والنصية بينها دقيقة وقد بيّنها البلاغيون بجلاء وإيضاح تام [٣] .

فالفرق بين الإيغال والتكميل :

أنّ الإيغال لا يكون إلا في الكلمة التي فيها الرويّ (لفظة الفاصلة) ، وما يتعلق بها . كما أنه يأتي بعد تمام المعنى .

أما التكميل : فيأتي أيضاً بعد تمام المعنى ، إلا أنه يأتي في حشو الكلام ، ومقاطعه ، وبعيداً عن لفظة الرويّ . بالإضافة إلى أن التكميل لا بدّ وأن يأتي بمعنى إضافي يكمل الغرض في سياق المعنى المتقدّم عليه .

والفرق بين الإيغال والتتميم :

- أنّ التتميم لا يرد إلى في سياق كلام ناقص لم يتم، والإيغال لا يرد إلا في معنى تمّ.

- التتميم لا يأتي إلا في حشو الكلام ، والإيغال موضعه لفظة الرويّ (الفاصلة) .

١- أبو حيان ، النهر الماد ، ١ / ٥٩١ .

٢- د. محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، ٢٩١ .

٣- ينظر : ابن أبي الإصبع ، تحرير التحبير ، ٣٩١ . - ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب ، ٢٣٤ . - ابن معصوم ، أنوار الربيع ، ٥ / ٣٣٥ .

- التتميم ليس شرطا فيه أن يتضمن نوعاً من حسنات البديع، وهو شرط في الإيغال .

والفرق بين الإيغال والتذييل :

- أنّ التذييل يأتي في مقاطع الكلام ونهايته كما في الإيغال .

- التذييل يستوعب غالباً العَجُز كله، في حين أن الإيغال يأتي في لفظة واحدة أو أكثر.

تلك هي أهم الفروق بين الإيغال والمصطلحات قريبة الصلة به .

إضاءة :

لابن أبي الإصبع المصري تقسيم لطيف للإيغال ، إذ يجعله على قسمين[١] :

الأول : إيغال الاحتياط .

والثاني : إيغال التخيير .

فإيغال الاحتياط : تأتي فيه المبالغة متمّمة لسياق المبالغة السباق في سياق الآية كما في قوله تعالى في سورة النمل : (إِنَّك لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِين (٨٠)) .

يقول ابن أبي الإصبع : " علم عزّ وجلّ أنّ الكلام يحتاج إلى فاصلة تماثل مقاطع ما قبلها وما بعدها ، فأتي بها تفيد معنى زائداً على معنى الكلام حيث قال : (إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِين) . فإن قيل : فما معنى الإتيان (بمدبرين) وقد أغنى عنها ذكر التولّي ؟ قلت: لا يغني ذلك عنها ، إذ التولّي قد يكون بجانب دون جانب ، كما يكون الإعراض. ولماّ أخبر سبحانه – وهو أعلم – بذكر تولّيهم تتميماً للمعنى في حال المخاطب لينفي عنهم الفهم الذي يحصل من الإشارة ، فإنّ الأصمّ يفهم من الإشارة ما يفهمه السامع من العبارة . ثم علم سبحانه أنّ التولّي قد يكون بجانب دون جانب كما قدّمنا ، فيجوز أن يلحظ بالجانب الذي لم يتولّ به ، فيدرك بعض الإشارة ، والمراد نفي كل الإشارة . فجاءت الفاصلة (مدبرين) ليُعلَم أنّ التولّي كان بجميع الجوانب ،

---

١ - ينظر : ابن أبي الإصبع ، بديع القرآن ، ٩١ – ٩٣ .

بحيث لو صار ما كان مستقبلاً مستدبراً ، فأحتجب المخاطِب عن المخاطَب ، إذ صار من ورائه فخفيت عن عينه الإشارة ، كما صَمَّتْ أذناه عن العبارة ، فحصلت المبالغة الكلية في عدم الإسماع بتّة " [١] .

وقد أطلنا في اقتباس النص من ابن أبي الإصبع لأنّ جمال عرضه لتحليل الإيغال في الآية يوجب علينا إيراد هذا العرض كاملاً غير منتقص ، وذلك حتى يتسنى لنا فهم ما قصده من تركيب المبالغة على المبالغة ، ومن ثمّ التوصّل إلى أنّ لفظة الفاصلة (مدبرين) جاءت على سبيل الإيغال للاحتياط من احتمال تطرّق شيء من جمال المعنى القرآني إلى أسماع هؤلاء الجاحدين المنكرين لنبوته صلى الله عليه وسلم ، فنفت هذه اللفظة تماماً إدراك أسماعهم لأي لفظ مما يقوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن ثمّ حرمانهم من تلقي فيوضات الهداية والنور والرحمة .

* ومن إيغال الاحتياط أيضاً قوله تعالى في سورة يس : (اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١)) .

فالمعنى في الآية الكريمة تمّ دلالياً عند قوله تعالى : (اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا) ، ثم تمّ إرداف جملة (وهم مهتدون) في فاصلة الآية على سبيل الإيغال للاحتياط من توهّم الفهم بغير ذلك من جانب هؤلاء الجاحدين . يقول ابن أبي الإصبع في تعليل ورود الفاصلة على هذا النحو : " أراد الفاصلة لمناسبة رؤوس الآي ، فأوغل بها كما ترى ، حيث أتى بها يفيد معنى زائداً على معنى الكلام ، وجاء في الكلام إيغال حسن بعد تتميم " [٢] .

والاحتياط هنا يتمثل في أنّ الرسل إلى هذه القرية قاموا بالدعوة الإلهية على أتمّ وجه ، وأكمل تبليغ ، لا يبتغون في ذلك أجراً من أحد ، وإنما مبتغاهم من الله الجزاء والأجر والمثوبة ، فتمّ الكلام بهذا المعنى عند هذا الحدّ . لكن جاءت جملة الفاصلة احتياطاً من الظنّ من جانب المنكرين بأنّ الرسل الداعين إلى الهداية غير مهتدين ،

١- ابن أبي الإصبع ، بديع القرآن ، ٩٢ .

١- ابن أبي الإصبع ، تحرير التحبير ، ٢٣٦ .

فدفعت الفاصلة بهذا الاحتياط هذا الظنّ . يقول د. كمال الدين المرسي : " قوله : (وهم مهتدون) إيغال لأنه تمّ المعنى بدونه ؛ إذ الرسول مهتد لا محالة ، لكن فيه زيادة مبالغة في الحثّ على اتباع الرسل ، والترغيب فيه " [١] .

هذا عن إيغال الاحتياط ، ومسار السياق فيه .

أما إيغال التخيير : ويقصد به أن تتعلّق لفظة الفاصلة (الموغلة) بألوان أخرى من التعلّق النصي بما في سياق الآية من ألوان البديع المختلفة ، فيكون هذا التعالق للتخيير، بمعنى أنّ القارئ يجد نفسه مخيّراً في إدراك ألوان مختلفة من البديع في نسق الآية الكريمة .

وعليه قوله تعالى في سورة المائدة : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)) . يقول ابن أبي الإصبع في حديثه عن الآية السابقة : " حصل في هذه الآية وهي عشر لفظات سبعة أضرب من البديع وهي : التعطّف ، وتجاهل العارف ، والتذييل ، والمقارنة ، والتمثيل ، والتعليق ، والإيغال ، والله أعلم"[٢] .

وتفصيل الألوان البديعية في الآية كما يأتي :

* فالتعطّف وهو " أن تذكر اللفظ ثم تكرّره والمعنى مختلف " [٣] . ويرى ابن الناظم أنّ " التعطيف أن تعلق الكلمة في موضع من الصدر بمعنى ، ثمّ تعلّقها فيما سوى الضرب من العجز بمعنى آخر " [٤] .

٢- د. كمال الدين المرسي ، فواصل الآيات القرآنية ، ١١٠. وينظر : الزركشي ، البرهان ، ١ / ٩٧ .

٣- ابن أبي الإصبع ، بديع القرآن ، ٩٣ .

١- أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ٤٢٠ .

٢- ابن الناظم ، المصباح ، ٧٧ . وينظر : - ابن الأثير ، جوهر الكنز ، ٢٦٠ . - السيوطي ، شرح عقود الجمان ، ٢٧٣ . - ابن حجة ، خزانة الأدب ، ٤١٧ .

والتعطّف في الآية الكريمة متمثّل في قوله تعالى : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) ، وقوله تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا) ، فأتي بالحكم في أول الكلام ؛ الصدر وعلّقه في آخره ؛ العجز ، بأوّله تعطّفاً .

* وتجاهل العارف وهو " إخراج ما يُعْرَف صحته مخرج ما يُشَك فيه ليزيد بذلك تأكيداً " [١].

وفي الآية الكريمة تمّ تجاهل العارف في قوله تعالى : (أفحكم) مستفهماً عن أمر معلوم ، ليخرج هذا الاستفهام عن المعلوم مخرج التوبيخ والإنكار .

* والتذييل وارد في التعبير بجملة (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا) بعد تمام المعنى .

* والمقارنة وضحت من إمكانية تطبيق هذه الجملة القرآنية في كلّ واقعة تشبه هذه الواقعة الأصل .

* والتمثيل يصح هنا لكون الآية أصبحت مثلاً سائراً صالحاً للتطبيق في الوقائع المماثلة .

* والتعليق جاء من تعلّق التمثيل بالمثل السائر والتذييل .

* الإيغال وختام ذلك كله لا بدّ وأن يكون بإيغال التخيير الحادث في الآية .

تلك هي أهم التفصيلات الدلالية لعلاقات الفاصلة القرآنية مع سياقات الآيات ، وضح منها جلياً الدور السياقي والدلالي والنصي الذي تؤديه الفاصلة في معمار الآيات ، وما ينتج عن هذا التعالق من دلالات وجماليات متنوعة .

*** التعقيبات القرآنية :**

سبق وأوضحنا المقصود بالتعقيبات القرآنية في سياق الآيات ، وما يتبعه من

٣- أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ٣٩٦ . وينظر : - البغدادي ، قانون البلاغة ، ٤٥٦ . - ابن منقذ ، البديع في نقد الشعر ، ٩٣ . - الرازي ، نهاية الإيجاز ، ١١٤ . - السكاكي ، مفتاح العلوم ، ٩٢ . - الطيبي ، التبيان ، ١٨٨ . - الحلبي ، حسن التوسل ، ٢٣١ .

دلالات في سياقاتها . غير أننا عند بحثنا لعلاقات الفاصلة اتضح أنّ بعضاً من هذه العلاقات يتداخل بصورة جلية مع التعقيب القرآني . نلمح ذلك مثلاً :

- علاقة (الفاصلة المُمكّنَة) ؛ إذ نجد من الأفضل بحثها في سياق التعقيب .
- علاقة (الفاصلة الموشّحة) بدلالة معنوية داخلة في سياق التعقيب .
- علاقة (فاصلة الإيغال بالاحتياط) أصيلة في سياق التعقيب .

ولذا فإننا في حديثنا عن فن التعقيبات القرآنية لا بدّ أن نشمل بالتحليل هذه النماذج الجمالية من علاقات الفاصلة ، لما بين التعقيبات والفواصل من تداخل متناغم .

ويرى د.تمام حسان أن للفاصلة بتركيب الآية التي خُتِمت بها إحدى علاقتين هما [١] :

الأولى : أن تكون الفاصلة جزءاً من تركيب الآية ، مكملة لبنيانها ، فلا يتصور تمام المعنى بدونها .

والثانية : أن تأتي الفاصلة بعد تمام المعنى ، فتكون تذييلاً للآية كالتعليق ، أو التعقيب على محتواها الدلالي والنصي .

والتعقيب كما يراه السجلماسي (كان حياً بعد ٧٠٤ هـ) هو " أن يقع جزء التكملة بعد تمام جزء المقدّمة وكمالها " [٢]. فالتعقيب بهذا المعنى إكمال للمعنى بعد تمام الكلام على مقدمته أو صدره .

ويرى التنوخي (القرن السابع الهجري) أنه " من البيان تعقيب الكلام بمصدر معظّم بمن أُضيف إليه توكيداً لما في ذلك الكلام من الحكم والمعاني وغير ذلك مما يعُظّم في بابه خيراً أو شراً " [٣] .

* ومن أمثلة التعقيب القرآني ما نراه في قوله تعالى في سورة يس : ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧)﴾ .

يقول الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) : " من كان حافظاً لهذه السورة ، متيقّظاً إلى

١- د. تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ١ / ١٩٦ .

٢- السجلماسي ، المنزع البديع ، ٣١١ .

١- التنوخي ، الأقصى القريب ، ٨٠ .

مقاطع فواصلها على النون المردفة ، وتسمع في صدر الآية : (وآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) ، علم أنّ الفاصلة (مظلمون) ، فإنه من انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال " [١] .

فهذه الآية على معنى التوشيح الكائن في لفظة الفاصلة (مظلمون) لأنّ سياق الآية يؤدي إليها جملة وتفصيلاً . غير أنّ لفظة الفاصلة تحتمل أن تُحَمَّل بزخم سياقي يتولد من مسار الدلالة في الآية ، وهذا ما نحاول تبيانه كما يلي :

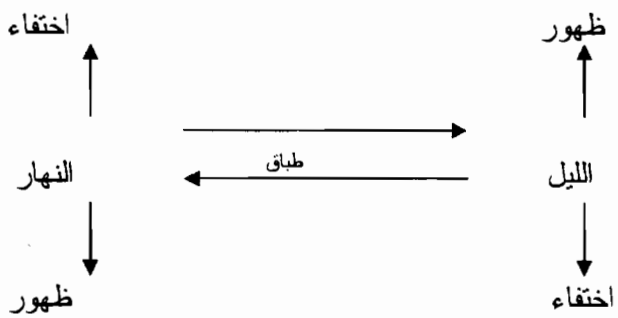

وتأسيساً على الشكل السابق فإنّ غياب أحد الطرفين ؛ (الليل والنهار) يعني حضور الآخر ، ولماّ جاءت الاستعارة في لفظة (نسلخ) حَسُنَ عدّ الليل (ظاهراً) والنهار (مختفياً) ، واختفاء النهار يعني الإظلام الذي هو صفة أصيلة لليل ، ولذا كان طبيعيا أن يكون التعقيب القرآني في نهاية الآية لفظة مناسبة لهذا السياق الدلالي فجاءت كلمة (مظلمون) .

يقول الزنجاني (ت ٦٦٠ هـ) : " المستعار له (ظهور النهار) من (ظلمة الليل) ، والمستعار منه ؛ ظهور المسلوخ عن جلدته . والجامع ؛ ترتّب أحدهما على الآخر " [٢] .

ولذا جاءت الفاصلة (الموشّحة) تعقيباً ضرورياً استلزمه سياق الآية النصي .

* ومن الأمثلة أيضاً ما نلمسه في قوله تعالى من سورة النمل : (وَتَرَى الْجِبَالَ

٢- الزركشي ، البرهان ، ١ / ٩٥ . - وينظر : - ابن أبي الإصبع ، بديع القرآن ، ٩١ .

١- الزنجاني ، معيار النظار ، ٣٥ . وينظر : - الطوفي ، الإكسير في التفسير ، ١٥١ .

تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)) .

يقول التنوخي : " لمّا كانت الجبال تُرَى جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب لسرعة حركتها ،وهي لا تُرَى ، كان ذلك أمراً عظيماً تَحَار فيه العقول ، وكّدَ بقوله تعالى : (صنع الله) ، ثم وَصَفَ نفسه بأنّه المتقن لكلّ شيء " [١] .

فحدث في الآية تعقيبات هي :

الأول : تعقيب التمام في وصف الأمر الذي تحار فيه العقول ؛ وهو دورات الأرض في سرعة السحاب ، مع أننا لا ندرك ذلك . فكانت الإشارة بأنّ هذا من صنع الله ، ثمّ جاءت التعقيبة بقوله تعالى : (صنع الله) ردّاً على ادعاء المنكرين لذلك .

والثاني : وصف هذا الصنع بأنه خاص بالله سبحانه وتعالى وحده ، فجاءت التعقيبة احتياطاً لدفع توهّم الظانّ بنقصان هذا الصنع وذلك بقوله تعالى : (الذي أتقن كلّ شيء) إيغالاً بالاحتياط .

والثالث : التعقيب الدلالي لما مرّ من إثبات القدرة على الصنع ، ثمّ إثبات الإتقان للصانع ، وهذا لا بدّ أن يتواشج مع دلالة العلم والخبرة بالمصنوع كله من جمادات وأحياء ، ولذا جاءت التعقيبة في هذا الإطار بقوله تعالى : (إنه خبير بما تفعلون) في سياق التوكيد (بإنّ) .

ويرى الطوفي (ت ٧١٦ هـ) أن " التعقيب بالمصدر (صُنْع) هنا إشارة إلى تعظيم شأنه ، كأنه قال : انظروا صنع الله ما أعظمه " [٢] .

* ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى في سورة البقرة : (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦)) .

فقد تمّ المعنى عند قوله تعالى : (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) لكنّه سبحانه وتعالى عقّب على ذلك بقوله : (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) نافياً عنهم طريق الهداية والاهتداء .يقول الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ) : " لمّا ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه ،

٢- التنوخي ، الأقصى القريب ، ٨٠ .

١- الطوفي ، الإكسير في التفسير ، ٢٤٤ .

وما يكمل ويتمّ المعنى بانضمامه إليه ، تمثيلا لخسارهم ، وتصويرا لحقيقته . فإن قلت: فما معنى قوله : (فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وما كَانُوا مُهْتَدِينَ) ؟ قلت : معناه أنّ الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان : رأس المال والربح . وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا ، لأنّ رأس مالهم كان هو الهدى ، فلم يبق لهم مع الضلالة ، وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح ، وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية ، لأنّ الضّالّ خاسر دامر ، ولأنّه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله: قد ربح ، (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) لطرق التجارة ، كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يُرْبَح فيه " [١] .

فنفى بالتعقيب صفة الربح عنهم تماماً ، لأنهم خسروا ما لديهم من سبل للهداية ، ولذا عبّر بالاسم (مهتدين) دلالة على ثبات الصفة فيهم ، وعدم زوالها ، بخلاف لو كان عبّر بالفعل (وما اهتدوا) أو (وما يهتدون) .

تلك هي أهم الفروق الدلالية والنصية والجمالية بين الفاصلة والتعقيبات القرآنية ، وضحت من خلال العرض ، واتضحت بها الحدود الدقيقة بين اللونين من خلال السياقات القرآنية .

المبحث الرابع :
أَقْسَامُ التَّعْقِيبَات القُرْآنيّة

التعقيبة القرآنية أحد أوجه التناسب المعنوي واللفظي في القرآن الكريم ، وهذا اللون من التناسب يجمع بين وفائين :

الأول : وفاء بحق المعنى المتولّد من كون التعقيبة هي ختام السياق النصي والدلالي في الآية .

والثاني : وفاء بحق الإيقاع النابع من بناء الفواصل على حرف روي متحد أو متقارب المخرج الصوتي ، وقد ينبع هذا الإيقاع من اتفاق الفواصل في شكل البناء الصرفي أو غير ذلك .

ومراعاة لهذا الوجه من التناسب وردت بعض الإشارات للتعقيبات القرآنية في كتب

٢- الزمخشري ، الكشاف ، ١ / ٧١ .

التفسير ومؤلفات الباحثين في صور الجمال القرآني ، فبحثوا شذرات منها بصورة إجمالية ، خاصة عند الحديث عن متشابهات القرآن الكريم ، مثلما نجد في كتب المتشابهات للخطيب الإسكافي ، وابن الزبير الغرناطي ، والكرماني ، وابن جماعة ، والأنصاري ، والبقاعي .

* فمن أمثلة ذلك ما نلمسه من تخريج جمالي ودلالي عند علماء المتشابهات القرآنية لسياق التشابه في قوله تعالى في سورة النساء : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)) .

وقوله تعالى في سورة النساء أيضاً : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦)) .

إذ يرى الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) أنّ الإتباع بهذا التعقيب لكل آية مناسب تماماً لحال كل فريق نزلت فيه كلّ آية . فالتعقيب هنا على مناسبة القول لحال المخاطَب به. يقول : " أما إتباع الأول (فقد افترى إثماً عظيماً) فلأنّ من أُريد بالآية الأولى قوم عرفوا صحة نبوة النبي من الكتاب الذي معهم ، وافتروا ما لم يكن عندهم ، فكان كفرهم من هذا الوجه الذي أضلّوا به أتباعهم . وأما إتباع الثاني (فقد ضلّوا ضلالاً بعيداً) فلأنّ من أُريدَ به مشركوا العرب ، وهم لم يتعلّقوا بما لديهم ، ولا كتاب في أيديهم فيرجعوا إليه فيما يتشككون فيه . فقد بعدوا عن الرشد ، وضلّوا أتمّ الضلالات . فاقتضى المعنيّون بالأول ما ذكره الله تعالى ، والمعنيّون بالثاني ما أتبعه إيّاه " [١] .

فالتخريج لفن التعقيبات هنا على مراعاة حال المتلقي للنص ، فالمتلقي في الآية الأولى هم أهل الكتاب وما أضافوه من افتراءات لنص الكتاب المقدّس من عند أنفسهم، فناسب ذلك التعقيب بالافتراء ، والحكم عليهم بالإثم العظيم . والمتلقي في الآية الثانية هم أهل مكة الأميين الذي اعتمدوا على عقلهم البدائي في الحكم على النص الإلهي ، ومن ثم قادهم العقل المعاند إلى الضلال ، ولذا ناسب ذلك التعقيب بذكر الضلال لما هم عليه من عناد وجحود .

١- الخطيب الإسكافي ، درة التنزيل وغرة التأويل ، ١ / ٤٠٨ .

أمّا الكرماني (ت بعد ٥٠٠ هـ) فيرى في اختلاف التعقيبين أمرا مناسبا لاختلاف المحدّث عنه تبعاً لدرجة الضلال الملابسة له من حيث القلة والكثرة . يقول : " ختم الآية مرة بقوله : (فقد افترى إثما عظيما) ، ومرة بقوله : (فقد ضلّوا ضلالا بعيدا) ، لأنّ الأول في اليهود ؛ وهم الذين افتروا على الله ما ليس في كتابهم . والثاني نزل في الكفار ، ولم يكن لهم كتاب ، فكان ضلالهم أشدّ " [١] .

ويعقّب ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) على التعقيب في الآيتين لبيان الحكمة في اختلاف التعقيبة في كل نهاية كل آية . فيرى :

أنّ الآية الأولى سبقت بذكر أهل الكتاب واعتدائهم وتحريفهم ، وأوضحت عن كذبهم وافترائهم ، فناسب هذا السياق ذكر الافتراء في ختام هذه الآية .

أما الآية الثانية فلم يقع فيها ذكر تحريف ولا افتراء ، وإنما ذكر منافقي أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، فناسب ذلك ما بني عليه من ذكر الضلال [٢] .

فالأمر الحاكم لاختلاف التعقيب في كل آية هو التناسب الدلالي والنصي لسياق الآية التي يأتي فيها هذا التعقيب .

ويوجّه السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) النظر إلى كون كل تعقيبة تناسب سياق المقام للآية التي تحويها ، وتناسب في الوقت نفسه مقام المحدّث عنه (المتلقي) للنص. يقول : " خُتمت تيك بقوله : (فقد افترى)، وهذه بقوله : (فقد ضَلّ) لأنّ ذلك في غاية المناسبة، فإن الأولى في شأن أهل الكتاب من أنه عندهم علمٌ بصحة ثبوته، وأنّ شريعتَه ناسخةٌ لجميع الشرائعِ، ومع ذلك فقد كابروا في ذلك فافتروا على الله تعالى، وهذه في شأنِ قومٍ مشركين غير أهلِ كتابٍ ولا علمٍ فناسَب وصفُهم بالضلال، وأيضاً فقد تقدَّم ذكْر الهدى وهو ضدُّ الضلال " [٣] .

---

٢ - الكرماني ، البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ١٤٠ .

٣- ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل، ١ / ٣٤٧ . وينظر: الأنصاري، فتح الرحمن، ٦٦.

١- السمين الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، ٥ / ١١٢ .

ويلمح البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) في سياق اختلاف التعقيبتين اختلاف الحال من حيث العلم والجهل ، فاليهود أهل علم ومع ذلك لم ينفعهم هذا العلم لأنهم بدّلوا وحرّفوا فناسبهم الحكم عليهم بالإثم العظيم . أما الكفار من قريش فهم أميّون ليس لهم نصيب كبير من العلم ، بل الجهل فيهم طامّ ، فناسب ذلك الحكم عليهم بالضلال لتركهم العلم . يقول : " طوى مقتضى الافتراء الذي هو تعمّد الكذب، وذكر مقتضى الضلال، لأن معظم السياق للعرب أهل الأوثان والجهل فيهم فاش، بخلاف ما مضى لأهل الكتاب فإن كفرهم عن علم فهو تعمّد للكذب " [١] .

* ومن ذلك أيضاً ما نلمسه من تخريجات جمالية لسياق التعقيب في قوله تعالى في سورة القصص : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢)) . إذ خُتِمَت كلّ آية من الآيتين بتعقيبة يجب إيضاح وجه التناسب فيها . ففي الآية الأولى ختمت بقوله تعالى : (أَفَلَا تَسْمَعُونَ) مناسبة للحديث عن الليل . وفي الآية الثانية ختمت بقوله تعالى : (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) مناسبة للحديث عن النهار ، فكيف يفسّر هذا ؟

يقول ابن الزبير : " (أفلا تسمعون) مناسب للمدرَك ليلاً ، إذ الليل حائل دون المبصرَات . وجيء مع ذكر النهار بما يناسب فقيل : (أفلا تبصرون) لأنّ المبصرات تُدرَك نهاراً ، ولا تدرك ليلاً " [٢] .

وعلى اعتماد هذا التخريج لمثل هذا اللون من التناسب جمع من المفسرين والبلاغيين [٣] .

ومن خلال مطالعة المؤلفات التي عرضت لمثل هذا اللون من التناسب وجدنا أنها

٢- البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ٢ / ٢١٨ .

١- ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ٢ / ٩١٠ .

٢- ينظر : الإسكافي ، درة التنزيل ، ٣ / ٩٩٣.- الزمخشري ، الكشاف ، ٣/ ٤٢٩ .- الأنصاري ، فتح الرحمن ، ٢٦٣ .

تدور على محورين هما :

الأول : عقد المؤلَّف لبيان الاختلاف الحادث بين الآيات المتشابهات في القرآن الكريم، من حيث اختلاف السياقات الداخلية ، أو نهايات الآيات . وذلك مثل :

- درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) .

- البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني (ت بعد ٥٠٠ هـ) .

- ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) .

- كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) .

- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في آي القرآن للأنصاري (ت ٩٢٦ هـ) .

والثاني : تناول الآيات التي بها نماذج للتذييل القرآني في الآيات ، والبحث عن جماليات هذا التذييل ، وسياقات الفواصل القرآنية ، وذلك في كتب التفسير العامة ، إذ لم تفرد ظاهرة التعقيب بمؤلَّف خاص مستقل .

وعليه ومن خلال معاودة النظر في القرآن الكريم ، وفي كتب التفسير ، وكتب الإعجاز القرآني والبلاغي ، فقد أمكننا تلمّس نوعين من التعقيب القرآني هما :

الأول : نوع يقع في نهايات الآيات ، وهذا كثير .

والثاني : نوع يقع في ختام القصص القرآني تعقيباً عليها ، وهو قليل إلى حدّ ما .

ونحاول تفصيل القول في كل نوع فيما يأتي .

النوع الأول : التعقيبات على الآيات

نلمس في سياق القرآن الكريم توظيفاً جمالياً لفن التعقيب على الآيات من خلال تأمل نهاياتها النصية (الفواصل) أو ما يشبه النهايات (التعقيبات) أي ما فوق الفاصلة . وهذه التعقيبات يُلْحَظ في توظيفها جملة من ألوان التناسب المعنوي والجمالي والإيقاعي .

كما أنّ هذه التعقيبات تتنوع في السياق القرآني من مكان إلى مكان ، ومن سورة

إلى سورة ، بل وداخل السورة الواحدة نفسها ، تبعاً لاختلاف السياق الدلالي والنصي في تلك السورة .

وبتأمل السياق التعقيبية وجدنا شكلين من أشكال التعقيب في هذا النوع :

الشكل الأول : ما نلحظه من تكرارات كاملة في سورة بعينها بعد كل آية ، كما في :

* سورة القمر من تكرار قوله تعالى : (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) في (٤ آيات) .
* سورة الرحمن من تكرار قوله تعالى : (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) في (٣١ آية).
* سورة المرسلات من تكرار قوله تعالى : (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) في (١٠ آيات).

وغير ذلك من تكرارات الآيات في النص القرآني .

والشكل الثاني : ما يتنوّع التعقيب فيه من آية إلى آية بلا تكرار ، وهو أعم من الشكل الأول .

ونفصّل الحديث عن كلّ شكل فيما يأتي .

الشكل الأول : التعقيب بالتكرار

يلجأ المتكلم إلى تكرار الجملة قصداً لمعانٍ يريدها ويبغيها من ذلك التكرار ، هذه القصدية تستند في جمالياتها إلى ردّ فعل المتلقي وقدرته على إدراك مزية هذا التكرار أينما وُجِد . كما أنها تتكئ في مقصودها على نسج كلام المُبْدِع لأنه الموجه الأهم لهذا التكرار . ولذا فتوظيف التكرار في سياق التراكيب لا بد من اعتماده نسقاً معيناً من أنساق التعبير من ناحية ، ثم بيان أغراض هذا التعبير بهذا النسق من ناحية أخرى ، وذلك من حيث مقصدية هذا التكرار . والحديث عن التكرار في سياقات التراكيب يتخذ عدة صور في سياق النص القرآني منها :

تكرار الجملة :

تتكرر الجمل في القرآن الكريم على صورتين هما :

أ – التكرار التام المتماثل : أي تكرار الجملة كما هي بلا تغيير في مركباتها التكوينية. وعليه قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وهي جملة فعلية تكررت كما هي في سورة الرحمن في (٣١ إحدى وثلاثين آية) .

ب – التكرار غير التام : أي تكرار الجملة مع تغيير بنيتها التركيبية . كقوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [١]، فكرّر التركيب الدالّ على التكذيب مع تنويع صور هذا التركيب .

ونفصّل القول في تكرار الجمل من حيث اسميتها أو فعليتها كما يلي :

١- تكرار الجملة الاسمية :

تتكرر الجملة الاسمية في النص القرآني لتوكيد المعنى وتقرره في النفس ، مع الارتباط في الوقت ذاته بالدلالة على أغراض سياقية خاصة بكل سياق تكراري . وقد ورد تكرار الجملة الاسمية في القرآن الكريم بكثرة . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٢] .

فقد كرر الجملة الاسمية (أإله مع الله) المكونة من : (همزة الاستفهام + المبتدأ النكرة (إله) + الخبر شبه الجملة ؛ الجار والمجرور (مع الله) ، في خمسة مواضع متتالية في هذه الآيات . يقول أبو حيان في هذا التكرار الجملي : " اعتقب كل واحدة من هذه الجمل قوله تعالى (مع الله بل) على سبيل التوكيد والتقرير أنه لا إله إلا هو تعالى " [٣] .

١- سورة ص : الآيات من (١٢ – ١٤) .

١- سورة النمل : الآيات من (٦٠ – ٦٤) .

٢- أبو حيان ، البحر المحيط ، ٩ / ١٩٧ .

فقد ذكر ﷻ هنا على سبيل الإنعام على العباد في معرض المحاجاة ، فذكر خلق السماوات والأرض ، وإنزال الماء من السماء ، وإنبات الحدائق والأشجار ، وشق الأنهار ، وخلق الجبال والبحار ، وإجابة الدعاء ، وإرسال الرياح ، وبدء الخلق وإفنائه ثم بعثه من جديد . وفي هذه المحاجاة يكون السؤال التهكمي : أإله مع الله يفعل مثل هذه الأفعال ؟! والإجابة بالتأكيد : لا . ولذا كان تعقيب هذه الجمل بحرف الإضراب (بل) دلالة على كذب دعواهم ، وفساد ما ذهبوا إليه .

ويربط الكرماني تكرار هذه الجملة في خمس آيات على التوالي بما يليها من ختام وتعقيب لكل آية منها . يقول : " قوله تعالى : (أإله مع الله) في خمس آيات على التوالي ، ختم الأولى بقوله : (بل هم قوم يعدلون) ، ثم قال : (بل أكثرهم لا يعلمون) ، ثم قال : (قليلاً ما تذكرون) ، ثم قال : (تعالى الله عما يشركون) ، ثم (هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) ، أي : عدلوا . وأول الذنوب العدول عن الحق ، ثم لم يعلموا ، ولو علموا لما عدلوا ، ثم لم يتذكروا فيعلموا بالنظر والاستدلال ، فأشركوا من غير حجة وبرهان ، قل لهم يا محمد (هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) " [١] .

فهو يسير مع الاستدلال بالعقل على الله من خلال النظر في خواتيم الآيات ، وربطها بهذا الاستدلال .

* ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [٢] ، التي تكررت في (١٠ عشر آيات) ، والتكرار هنا وارد بعد ذكر كل أمر عظيم من أمور الدنيا والآخرة ، إذ يفيد هذا الوعيد للمكذبين الدلالة على التخويف والتهديد الذي ترجف منه القلوب . يقول الكرماني في تعليل هذا التكرار للجملة الاسمية : " لأن كل واحدة منها ذُكِرَت عقيب آية غير الأولى ، فلا يكون تكراراً مستهجناً ، ولو لم يكرر كان متوعداً على بعض دون بعض " [٣] .

١- الكرماني ، البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ٢٦٠ .

٢- سورة المرسلات : الآيات رقم (١٥ - ١٩- ٢٤- ٢٨ - ٣٤ - ٣٧ - ٤٠ - ٤٥ - ٤٧- ٤٩) .

٣- الكرماني ، البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ٣٢٠ .

ويرى الطوفي أن التكرار لهذه الجملة الاسمية في السورة من قبيل التكرار الذي فائدته " تحقيق وقوع الويل بهم ، وتأكده ، تحذيراً من التكذيب ، وتنفيراً منه ، أو زجراً " [١] .

أما الرازي (ت ٦٠٦ هـ) فيرى أن إعادة الجملة الاسمية ضروري " لأنه ذكر ذلك عند قصص مختلفة ، فلم يعد تكراراً (مستقبحاً) لأنه أراد بما ذكره أولاً (ويل يومئذ للمكذبين) بهذه القصة ، ثم لما أعاد قصة أخرى ذكر مثله على هذا الحدّ ، ولما اختلفت الفائدة خرج عن أن يكون تكراراً " [٢] .

* ومنه قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ التي تكررت في (٤ أربع آيات) هي (١٦-١٨-٢١-٣٠) [٣] . يقول الكرماني في تعليل تكرار هذه الجملة الاسمية ، بأن هذا التكرار : " ختم به قصة نوح وعاد وثمود ولوط لما في كل واحدة منها من التخويف والتحذير ، وما حلّ بهم " [٤] .

فالتكرار هنا على تبيان دلالة التخويف مما حلّ بالأمم السابقة لما كفروا ، ثم التحذير من إمكانية وقوع مثل هذا العذاب لمن يجدد هذا الفعل التكفيري ، أو يجحد الإيمان بالله تعالى .

٢- تكرار الجملة الفعلية :

الجملة الفعلية أكثر تكراراً من الجملة الاسمية في العربية ، وهذه الكثرة ربما تعود إلى أن الفعلية تعبّر عن الحدث غالباً ، والحدث يتسم بالتكرار ، ويذكر إسرائيل ولفنسون أن " اللغات السامية في الحقيقة تعتمد على الجمل الفعلية أكثر من اعتمادها على الاسمية . فالفعل في اللغات السامية هو كل شيء ، فمنه تتكون الجملة ، ولم يخضع الفعل للاسم والضمير ، بل نجد الضمير مسنداً إلى الفعل ، ومرتبطاً به ارتباطاً

٤- الطوفي ، الإكسير ، ٢٧٧ .

١- الرازي ، نهاية الإيجاز ، ٣٨٩ .

٢- محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس ، ٥٥٩ .

٣- الكرماني ، البرهان ، ٣٠٥ .

وثيقاً " [١] .

والتكرار بالجملة الفعلية إنما هو تكرار للحدث مرتبطاً بالزمنية التي يتحقق فيها وبها ، وبذلك فهذا التكرار الفعلي يتكئ في مقصده الأهم على ملابسات الزمن بالحدث، ثم التدرج إلى الاستفادة السياقية لهذا التعاضد النصي من خلال الإلحاح على بنية التكرار في هذا السياق .

* ومن أبرز مظاهر التكرار للجمل الفعلية في القرآن قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ التي تكررت في (٣١ واحد وثلاثين آية) من سورة الرحمن [٢] . والجملة هنا فعلية تقدمت متعلقاتها (الجار والمجرور) على الفعل . يقول المرتضى : " أما التكرار في سورة الرحمن فإنما حسُن للتقرير بالنعم المختلفة المتعددة ، فكلما ذكر نعمة أنعم بها قرّر عليها ، ووبّخ على التكذيب بها " [٣] .

وملمح التكرار هنا لتعدد النعم هو الذي هيمن على تفكير أهل البلاغة لتحليل التكرار في هذه السورة . يقول العسكري : " كرر الله عزّ وجلّ في سورة الرحمن قوله : (فبأي ألاء ربكما تكذبان) ، وذلك أنه عدّد فيها نعماءه ، وذكر عباده ألاءه ، ونبههم على قدرها وقدرته عليها ، ولطفه فيها ، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليُعرف موضع ما أسداه إليهم فيها " [٤] .

ويرى د. عبد الملك مرتاض أن " تكرار هذه الآية يعكس خصوصية الأمر ، أو الاحتفاء به ، أو توكيده ، أو الرغبة إليه ، أو الحنق عليه ، أو الرضا عنه . كما أن التكرار استطاع أن يُكيِّف سطح الخطاب في هذه السورة ، ويؤثر في طبيعة بنائه ، وهندسة معمارية نسجه ، إضافة إلى أنه منح هذه السورة العروس شيئاً من التمكن

٤- إسرائيل ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، ١٥ .

١- محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس ، ٧٠٤ .

٢- المرتضى ، غرر الفوائد ودرر القلائد ، ١ / ١٢٣ .

٣- العسكري ، كتاب الصناعتين ، ١٩٤ . وينظر : عبد الجبار الأسد أبادي ، تنزيه القرآن عن المطاعن ، ٤٠٩ . - الكرماني ، البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ٣٠٦ .

والثبات للإيقاع الذي يقوم عليه المقطع (آن) " [١] .

كما أن تكرار هذه الجملة الفعلية يتوزع في السورة على أربعة أقسام هي :

الأول : الآيات من (١٣-٣٠) ، وهو على تعداد نعم الله في الخلق ، وتكررت فيه (٨ ثماني مرات) .

والثاني : الآيات من (٣١-٤٥) ، ويدور على ذكر العذاب بالنار ، وتكررت الآية فيه (٧ سبع مرات) .

والثالث : الآيات من (٤٦-٦١) ، وهو على بيان نعم الآخرة كالجنة ، وتكررت فيه (٨ ثماني مرات) .

والرابع : الآيات من (٦٢-٧٨) ، ويدور على ذكر الجنتين ، وتكررت الآية فيه (٨ ثماني مرات) .

يقول د. أحمد بدوي : " لعلّ في هذا السؤال (فبأي ألاء ربكما تكذبان) المتكرر ما يثير في نفس سامعيه اليقين بأنه ليس من الصواب نكران نعم تكررت ، وألاء توالت "[٢] .

وهكذا يسهم تكرار الجملة الفعلية في سورة الرحمن في إفادة الكثير من الدلالات والمعاني في نسيج السورة ، كما أنه انعقد على إفادة التجدد الحدوثي ، وارتباطه بالزمنية المطلقة في هذه العطاءات والنعم .

* ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ

٤- د. عبد الملك مرتاض ، نظام الخطاب القرآني ، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن ، ٣٢٨ .

١- د. أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن ، ١٥٣ .

خير مُحْضرا وما عملَتْ من سُوءٍ تَودُّ لَوْ أَنَّ بيْنَها وبَيْنَهُ أمداً بَعِيداً ويُحذِّرُكُمُ اللَّهُ نفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [١] . حيث تكررت جملة (ويحذركم الله نفسه) مرتين في هذه الآيات . يقول أبو السعود (ت ٩٨٣ هـ) : " (ويحذركم الله نفسه) تكرير لما سبق ، وإعادة له ، لكن لا للتأكيد فقط ، بل لإفادة ما يفيده قوله عز وجل : (والله رؤوف بالعباد) من أن تحذيره تعالى من رأفته بهم ، ورحمته الواسعة ، أو أن رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه ، وأن تحذيره ليس مبنياً على تناسي صفة الرأفة ، بل هو متحقق مع تحققها أيضاً " [٢] .

ويفند الكرماني هذا التكرار بقوله : " كرره مرتين لأنه وعيد عطف عليه وعيد آخر في الآية الأولى ، فإن قوله : (وإلى الله المصير) معناه : مصيركم إلى الله ، والعذاب معدّ لديه ، فاستدركه في الآية الثانية بوعد ، وهو قوله تعالى : (والله رؤوف بالعباد) . والرأفة أشد من الرحمة . وقيل : من رأفته تحذيره " [٣] .

* ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ [٤] ، حيث كرر جملة فعلية هي (قتل كيف قدر) ، وهما جملتان ؛ جملة (قُتِلَ) وجملة (قَدَّرَ)، في سياق وصف الوليد بن المغيرة ، وبيان حاله حين سمع القرآن من المصطفى ﷺ . يقول أبو السعود في بيان جمالية هذا التكرار للجملتين الفعليتين : " ثناء عليه بطرق الاستهزاء به، أو حكاية لما كرروه من قولهم : (قتل كيف قدر) تهكماً به ، وبإعجابهم بتقديره ، واستعظامهم لقوله " [٥] .

ويحلل الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) هذا التكرار بقوله : " تكرير للمبالغة كما هو معتاد من أعجب غاية الإعجاب . والعطف يتمّ للدلالة على تفاوت الرتبة ، وأن الثانية

٢- سورة آل عمران : الآيات من (٢٨ - ٣٠) .

١- أبو السعود ، إرشاد ذوي العقل السليم، ١ / ١٩٧ .

٢- الكرماني ، البرهان ، ١٢٩ .

٣- سورة المدثر : الآيتان رقم (١٩ ، ٢٠) .

٤- أبو السعود ، إرشاد ذوي العقل السليم، ٩ / ١٢٨ .

أبلغ من الأولى ، فكأنه قيل : قُتِلَ بنوع ما من القتل ، لا بل قُتِلَ بأشده وأشده . ولذا ساغ العطف فيه مع أنه تأكيد " [1] . فالتكرار في هذا الموضع للجملتين الفعليتين قائم على دلالة المبالغة في الجزاء الشنيع لهذا الكافر المعاند .

هكذا يكون تكرار الجملة الفعلية موظفاً بدقة في سياقات النص القرآني على إرادة ما يستفاد من التعبير بهذه الفعلية من تجدد حدوث الفعل ، وارتباطه بالزمنية التي تحويه ، وتسمح بتجدده ، ثم الارتباط بسياقات الآية ، ونسيج السورة كلها . وهذا التكرار تنعقد مقصديته على إيضاح الجانب الإيقاعي في السياق القرآني من ناحية ، ثم بيان الانسجام والتماسك النصي والدلالي لهذه التكرارات القرآنية .

وهكذا فإن التعقيب القرآني بالتكرار له مقصدية جمالية إيقاعية ونصية في سياق الآيات التي يذكر فيها كما لمسنا .

الشكل الثاني : التعقيب غير التكراري

يتكئ هذا اللون من التعقيب القرآني على فنية التنوّع من آية لأخرى ، ومن نمط تعبيري لآخر في سياق التركيب القرآني . وهذا التنوّع في إيراد التعقيبات نمط فريد من ألوان البناء في السياق القرآني. ولذا فالحكم على هذا الشكل من التعقيبات بأنه الأكثر وفرة أمر مقبول لأنه كذلك بالفعل .

ويدخل في هذا اللون من التعقيب إيراد أسماء الله الحسنى بصورة ثنائية في نهايات الآيات . فقد تنوعت صور التعبير بهذه الأسماء في السياق التعقيبي ، وختمت بها آيات عديدة في صورة بنائية فريدة تتمثل في ازدواج كل اسمين منها معاً حتى التلازم، فلا نكاد نرى اسماً منهما إلا وندرك الآخر بداهةً في أي سياق .

ويلاحظ بتأمل سياقات التعقيب بالأسماء الحسنى بعض الأمور :

* الغالب في التعبير بالأسماء الحسنى في التعقيب القرآني أن يتمّ ختم التعقيب باسمين حسنيين متجاورين ومتماثلين في الوزن الصرفي وأكثره على (فعيل) مثل : (حكيم

٥- الألوسي ، روح المعاني ، ١٠ / ٢٠٦ .

عليم – سميع بصير – عليم قدير ، عزيز حكيم) .

* قد تأتي هذه الأسماء على أوزان صرفية أخرى مثل (فاعل) مثل : (شاكر – واسع) ، وصيغة (فعّال) مثل : (توّاب – غفّار) .

* في بعض السياقات القرآنية يرد التعقيب باسم واحد على وجه الإطلاق والتعميم ، فيكون ذلك لبيان مطلق القدرة ، أو مطلق العلم مثل : (على كل شيء قدير) ، و(بكل شيء عليم) .

ويرى د. أحمد أبو زيد " أنّ التعقيبات بالصفات الإلهية يكثر في ختام الآيات التي تتضمن أحكاماً وحدوداً وتكاليف شرعية ، ولعلّ المقصود من ذلك على العموم هو التذكير دوماً بأنّ الذي شرع تلك الأحكام ، وأقام تلك الحدود والتكاليف عليم بمصالح العباد ، حكيم فيما يشرّع ويكلّف ، رقيب لا يخفى عليه شيء " [١] .

وقلّما يرد اسم من الأسماء الحسنى في سياق التعقيب القرآني بصورة منفردة ، بل دائما ما يرد بصورة مزدوجة ومتواشجة مع غيره من الأسماء . فمثلاً في سورة النساء ورد اسم الله تعالى (الرحيم) في الفواصل في (١١ إحدى عشرة آية) تنوعت كما يلي :

أ – ورد مرة واحدة بصورة مفردة في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)) .

ب – ورد مقترناً باسم الله الجليل (التوّاب) في الآيتين رقم (١٧ ، ٦٤) .

ج – ورد مقترناً باسم الله الجليل (الغفور) في الآيات (٢٣ ، ٢٥ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١٢٩ ، ١٥٣) .

ويرى د. محمد الحسناوي أن التنوّع في التعبير بالأسماء الحسنى له دلالات منها [٢] :

١- إثراء التعقيبات بدلالات لا تحصى من ظلال هذه الأسماء الحسنى ، تنبع من سياقاتها الخاصة ، ودلالاتها المتفردة .

١- د. أحمد أبو زيد ، التناسب البياني ، ١٢٠ .

٢- ينظر : د. محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، ٣١٤ .

٢- أن الأسماء الحسنى الواردة في التعقيب القرآني يصبح لها النصيب الأوفى من النفوس والأسماع لأنها تنزل منزلاً حسناً في نهايات الآيات ، وهي آخر ما يتبادر إلى القارئ أو السامع من معانٍ في الآية ، بالإضافة إلى تعالقها بالألوان المختلفة من علاقات الفاصلة من توشيح وتمكين وتصدير وإيغال ، مما يمهّد للدلالة القرآنية الخاصة والعامة من بلوغ غايتها في نفس المتلقي أو السامع .

٣- ما تحدثه هذه الأسماء الحسنى في سياق التعقيب القرآني من إيقاع جمالي ناتج عن الوزن الصرفي ، ومقاطع المدّ في بنائها ، مما يترك صدى نغمياً في سياق التركيب ، يدرك المتلقي أثره الجمالي في سمعه وقلبه في آن .

تلك الدلالات التي يحدثها التعبير بالأسماء الحسنى المزدوجة في سياق التعقيب لابدّ من إيضاحها من خلال الشواهد القرآنية .

فمثلاً : في قوله تعالى من سورة البقرة : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)) .

وقوله تعالى من السورة نفسها : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)) .

فقد تمّ التعقيب في الآية الأولى بصفة الخبرة المطلقة بقوله تعالى : (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) . وعقّب في الآية الثانية باسمي الله (العزيز والحكيم) بقوله تعالى : (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) . فما وجه التناسب بين التعقيبة في كل آية وسياقها الدلالي والنصي ؟

يقول ابن الزبير الغرناطي : " تعقيب الآية الأولى مناسب لما قبله ، فإنْ أضمرْن شيئاً لا يجوز فعلم الله سبحانه محيط بذلك ، وهو الخبير به " [١] .

فالمناسبة هنا مناسبة العقل والمنطق لأنه سبحانه وتعالى يعلم مَنْ خَلَق ، ولذا فإنه

١- ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ١ / ٢٧٤ .

خبير بما في نفوس عباده ، فناسب ذلك إعلام المخاطبين بأن الصفة الأهم في مقام التكليف هنا هي صفة الخبير لأنها مناط المراقبة لما يقومون به من أعمال .

أما تحليل ابن الزبير للتعقيب في الآية الثانية فيقول : " لمّا كان فيه احتمال أنّ يخرجن غير طائعات ، فيستعجلن أو يتعدّين ، ناسبه ذكر قدرته سبحانه عليهنّ بالمعاقبة أو العفو ، فهو العزيز الذي لا يُغَالَب " [١] . فلا يناسب مقام الاعتداء إلا ذكر العزة المقتضية لسياق الحكم لوضع الأمور في نصابها حكماً بالعفو أو العقوبة .

فالمناسبة التعقيبية هنا مناسبة المقام أو الحال لمن خوطب بهذا السياق .

ويرى السمرقندي (ت ٧٨٠ هـ) في تعقيب الآية الأولى نوع من التهديد بذكر اسم الله تعالى (الخبير) لأنه المطّلع على بواطن الأمور وظواهرها فليحذر المخالف. يقول : " (والله بما تعملون خبير) وعيد يتضمن التحذير . و (خبير) اسم فاعل من خَبَرَ إذا تقصى علم الشيء " [٢] .

وهكذا فإن تعقيب كل آية جاء مناسباً – بما ذكر فيه من أسماء حسنى – لسياق الدلالة في الآية الكريمة .

* ومن أمثلة التعقيب بالأسماء الحسنى ما نلمسه في قوله تعالى في سورة البقرة : (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)) .

حيث خُتِمَت الآية الكريمة باسمين من أسماء الله الحسنى ؛ (الواسع – والعليم) . فما دلالة التعقيب بهذين الاسمين ؟ يقول الزمخشري : " (إنّ الله واسع) الرحمة : يريد التوسعة على عباده ، والتيسير عليهم . (عليم) بمصالحهم " [٣] .

ويرى أبو حيّان أنّ الآية "ختمت بالوصفين الجليلين ، فوصف الله نفسه بصفة (الواسع) ، فقيل : لسعة مغفرته ، وقيل : واسع العطاء ، وقيل : واسع القدرة ،

١- السابق ، ١ / ٣٧٥ .

٢- السمرقندي ، بحر العلوم ، ١ / ٢٢٠ .

٣- الزمخشري ، الكشاف ، ١ / ١٨٠ .

وقيل: وصفه تعالى نفسه بذلك الوصف إشارة إلى أنه يوسّع على عباده في الحكم، ودينه يُسْر. وأردف بصفة (العليم) إشارة إلى أنه تعالى عليم بمصالح العباد، أو بنيّات القلوب ، وإنْ اختلفت ظواهر الأعمال في قلبه أو غيرها " [١] .

وسياق الآية على معنى التطمين من الله تعالى لعباده المؤمنين بأنّ العبرة بصاحب الجهة لا بالجهة ، لذا فلا خوف على من سبق بالصلاة قديماً إلى جهة غير الجهة المأمور بها حديثاً ، لأنه سبحانه وتعالى (واسع عليم) .

يقول البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) : " لما أخبر من سعة فضله مبثوثاً في واسع ملكه بما وقفت العقول عن منتهى علمه علله بما صغُر ذلك في جنبه فقال: { إن الله } فذكره بالاسم الأعظم الجامع لجميع الأسماء{ واسع } أي محيط بما لا تدركه الأوهام، فلا يقع شيء إلا في ملكه؛ وأصل الوسع تباعد الأطراف والحدود {عليم} فلا يخفى عليه فعل فاعل أي ما كان وكيف ما كان، فهو يعطي المتوجه إليه على قدر نيته بحسب بلوغ إحاطته وشمول علمه وقدرته " [٢] .

ويلمح ابن عرفة الورغمي (ت ٨٠٣ هـ) في التعبير بالاسمين الجليلين سياق ترهيب وترغيب للسابق واللاحق . يقول : " قوله تعالى : { إِنَّ الله وَاسِعٌ عَلِيمٌ } هذا إما ترغيب وترهيب ، أي : هو واسع الرحمة عليهم بأعمال العباد فيجازيهم عليها ، وإما ترغيب وتأكيد للترغيب ، أي : هو واسع الرحمة مع علمه بأعمال العباد ، وهذا أبلغ في رحمته ، لأن الإنسان قد يرحم عدوه إذا كان جاهلاً بِعَداوَتِهِ وعصيانه ، ولا يرحمه إذا علم بذلك " [٣] .

وهذه لفتة جمالية تزكّي الدلالي في السياق النصي للآية ، وتكسبها زخماً معنوياً فوق تمام معناها .

٤- أبو حيان ، البحر المحيط ، ٢ / ٢٥١ .

١- البقاعي ، نظم الدرر ، ١ / ١٢٩ .

٢- ابن عرفة ، تفسير القرآن الكريم ، ١ / ١٤١ .

والأمر يطرد على هذا المنوال في توظيف الأسماء الحسنى في سياق التعقيب القرآني ، بما يحمله هذا التوظيف من جماليات دلالية ونصية متواشجة مع مسار السياق في الآيات الكريمة .

النوع الثاني : التعقيبات على القصص القرآني

يُقَسَّم القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام : عقائد ، وأحكام ، وقصص . والقصص القرآني له مدلولاته البليغة ، غاياته الدالة المؤثرة في بناء النص القرآني ، وفي توجيه الخطاب المتنوع لعموم المتلقين .

ونلمس في سياق السور التي تحتوي القصص القرآني تعقيبات متنوعة في ختام كل قصة ، تختلف هذه التعقيبات فيما بينهما وتتنوع تنوعاً عجيباً تبعاً لسياق الأحداث في القصة . ولذا نرى لكل قصة قرآنية مساراً تعقيبياً مختلفاً عن نظائرها في بقية السياق القرآني .

وقد يتحد التعقيب القرآني على مجموعة من القصص المتنوع ، وذلك لعلة جمالية ونصية يقتضيها السياق القرآني . فمثلاً نلمح في سورة الشعراء تعقيباً قرآنياً متحداً يتمّ توظيفه عقب ذكر قصة نبي من الأنبياء في السورة . ويمثل هذا التعقيب في تكرار قوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)) ، حيث ورد هذا التعقيب بالصيغة ذاتها في (٨ ثمانية مواضع) من السورة هي :

١- في بداية السورة خطاباً للمصطفى صلى الله عليه وسلم في الآيات من (١ – ٧) والتعقيب في (٨ – ٩) .

٢- عقب قصة موسى عليه السلام في الآيات من (١٠ – ٦٦) ، والتعقيب في (٦٧-٦٨).

٣- عقب قصة إبراهيم عليه السلام في الآيات من (٦٩ – ١٠٢) ، والتعقيب في (١٠٣-١٠٤).

٤- عقب قصة نوح عليه السلام في الآيات من (١٠٥ – ١٢٠) ، والتعقيب في (١٢١ – ١٢٢).

٥- عقب قصة هود عليه السلام في الآيات من (١٢٣ - ١٣٨) ، والتعقيب في (١٣٩ - ١٤٠).

٦- عقب قصة صالح عليه السلام في الآيات من (١٤١- ١٥٧) ، والتعقيب في (١٥٨-١٥٩).

٧- عقب قصة لوط عليه السلام في الآيات من (١٦٠-١٧٣) ، والتعقيب في (١٧٤-١٧٥).

٨- عقب قصة شعيب عليه السلام في الآيات من (١٧٦-١٨٩) ، والتعقيب في (١٩٠-١٩١).

وهذا التكرار للتعقيبة القرآنية إنما هو ختام مناسب لسياقات القصص لهذه الأمم المكذبة. يقول الإسكافي : " ختم على كل قصة من قصصهم بقوله : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وما كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) . وأولاها قصة موسى عليه السلام : (وإذ نادى ربك موسى) ، فاتصف تعالى (بالعزيز الرحيم) لما يوجبانه من الخوف والرجاء اللذين بهما لزم الطاعات ، والرغبة فيما علا من الدرجات ، وأراد بالرحمة ؛ أنّ هذه الأمم أُمهِلَت لتُقْلِع عن تمرّدها ، وتعود إلى ربّها ، وتتوب من ذنبها ، فلمّا لم تفعل عوقبت في الدنيا ، سوى ما أُعِدّ لها في الأخرى " [١] .

ويرى الزمخشري أنّ التكرار لهذه التعقيبة عقب كل قصة في السورة الكريمة إنما مناط الأمر فيه الوعظ والتذكير ، وتقرير المعنى في النفس بهذا التكرر ، لأن جوهر التكرار التأكيد على معنى محدّد . يقول : " إن قلت : كيف كرّر في هذه السورة في أول كلّ قصة وآخرها ما كرّر ؟ قلت : كلّ قصة منها كتنزيل برأسه ، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها ، فكانت كلّ واحدة منها تدلي بحق في أن تُفْتَتَح بما افتتحت به صاحبتها ، وأن تختتم بما ختمت به ، ولأنّ في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور " [٢] .

١- الإسكافي ، درة التنزيل ، ٢ / ٩٦٣ .

٢- الزمخشري ، الكشاف ، ٣ / ٣٣٤ .

ويوسّع الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) إطار الدلالة المتوخاة من هذا التكرير للتعقيبة ليشمل العديد من ألوان الدلالة ما بين التهديد والوعيد ، وتقرير المعنى ، والتأكيد وغيرها . يقول : " في هذا التكرير لهذه الكلمات في آخر هذه القصص من التهديد والزجر والتقرير والتأكيد ما لا يخفى على من يفهم مواقع الكلام ويعرف أساليبه " [١].

وبتأمل جملة التعقيب القرآني وجدنا بعض الإشارات البيانية في سياقها منها :

القدرة والعزة ١- المقطع الأخير من التعقيبة خطاب للمصطفى صلى الله عليه وسلم (وإنّ ربّك) . وهذا الخطاب على سبيل التطمين لقلب المصطفى ، والتحقير من إنكار الكفار لدعوته، إذ يكفيه في هذا المقام نصر الله سبحانه وتعالى له .

٢- ورود الاسمين الجليلين (العزيز الرحيم) في ختام التعقيبة المكررة ، وهذا الختام بالاسمين مناسب تماماً لمحتوى كل قصة قرآنية سابقة على التعقيبة ، ومناسبة للجو العام لسياق القصة . فالعزيز هو الغالب القاهر ، والمقام في القصص المذكور مقام، ولذا قدّم (العزيز) على (الرحيم) لبيان هذه القدرة .

* ومن الأمثلة القرآنية على التعقيب المتّحد في سياق القصص القرآني ما نلمسه في سورة الصافات من تكرار قوله تعالى : (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) عقب قصص أنبياء الله (نوح ، وإبراهيم ، وموسى وهارون ، وإلياس) عليهم جميعاً السلام .

فقد وردت التعقيبة بهذا التركيب القرآني في (٤ أربعة مواضع) كما يلي :

١- عقب قصة نوح عليه السلام في الآيات من (٧٥ - ٧٩) والتعقيبة في (٨٠-٨١) .

٢- عقب قصة إبراهيم عليه السلام في الآيات من (٨٣-١٠٩) والتعقيبة في (١١٠-١١١) .

٣- عقب قصة موسى وهارون عليهما السلام في الآيات من (١١٤-١٢٠) والتعقيبة في (١٢١-١٢٢) .

١- الشوكاني ، فتح القدير ، ٦ / ٢٢ .

٤- عقب قصة إلياس عليه السلام في الآيات من (١٢٣ - ١٣٠) والتعقيبة في (١٣١- ١٣٢) .

والآيات الكريمات يتوالى فيها السرد القصصي لتظهر عناية الله بأنبيائه عليهم السلام ، وكيف كتب لهم النصر على أعدائهم ، وتحقق لهم حسن التمكين والعظيم الفضل والثواب .

يقول الأنصاري (ت ٩٠٦ هـ): " قوله : (إنه من عبادنا المؤمنين) إن قلت : كيف مدح الله تعالى نوحاً وغيره كإبراهيم وموسى عليهم السلام بذلك مع أنّ مرتبة الرسل فوق مرتبة المؤمنين ؟ قلت : إنما مدحهم بذلك تنبيهاً لنا على جلالة محلّ الإيمان وشرفه ، وترغيباً في تحصيله والثبات عليه ، والازدياد منه " [1] .

فالتكرار للتعقيبة هنا إنما مناط الأمر فيه الخطاب الخفي للمتلقي بأن يعي فضل الإيمان ، وكيف أنه السبيل إلى بلوغ الغاية الكبرى وهي رضا الله عز وجلّ .

وهكذا فإنّ التعقيبات التكرارية في سياق القصص القرآني إنما تأتي موظفة في سياق دلالي ونصي يتفاعل مع الوحدات البنائية لكلّ قصة ، ولا يمكن تصور النهاية النصية لأي قصة إلا من خلال النظر في شكل التعقيب الخاص بها .

وعلى هذا النمط فإن التعقيبة تؤدي في هذا السياق مهمتين غاية في الأهمية هما :

الأولى : المهمة النصية ؛ التي تنتج من تلاحم نسيج التعقيبة مع النسيج المتضام للآية كلها .

والثانية : المهمة الإيقاعية ؛ الناتجة من تكرار التعقيبة في نهاية كلّ قصة ، مما يشكّل نسيجاً إيقاعياً متناغماً مع سياق الفواصل في السورة من جهة ، ومناسباً لسياق القصة التي ختمت بها .

وهذا كله يصبّ في نسيج متضام أعم وأشمل هو النسيج الدلالي والنصي والجمالي

١- الأنصاري ، فتح الرحمن ، ٢٩٥ .

للقرآن الكريم لأنه لُحمة واحدة لا تنفصم عراها ولا يمكن .

فاصلة القول :

كان الهدف من هذه المقاربة الجمالية أن نتبيّن بتأمّل المراد بالتعقيب القرآني ، ونحدد ماهيته ، وما يمثله في نسيج النص القرآني . وقد استلزم ذلك منا القيام ببعض الخطوات :

* الوقوف على الدلالة للغوية للتعقيب القرآني ، ثم محاولة صياغة الدلالة الاصطلاحية للتعقيب .

* كما أننا عرجنا على تبيان الفروق الدلالية والنصية بين التعقيب القرآني والفاصلة بما تشمله من علاقات ؛ التوشيح والتصدير والتمكين والإيغال ، وما بين هذه العلاقات من فروق جمالية تقترب كثيرا من إطار التعقيب .

* كما حاولنا وضع إطار تقسيمي لأشكال التعقيب القرآني من خلال تأمل سياق التعقيب في القرآن الكريم فوجدناه على نوعين أساسين :

الأول : التعقيب على الآيات القرآنية بصورة عامة .

والثاني : التعقيب على آيات القصص القرآني .

مع بيان الفروق الجمالية بين النوعين ، من خلال النظر في تفصيلات السياق في الآيات القرآنية التي تحتوي أي النوعين .

وهكذا فإن درس التعقيب القرآني يمثل نوعاً من التواشج النصي والجمالي في سياق النسيج القرآني ، وكيف أنه يمثل نصاً نوعياً يختلف كلية عما عداه ، ويضحي باباً من أبواب البحث في الإعجاز القرآني ، يؤمّن لكل ناظر فيه الإقرار بهذا اللون من الإعجاز الجماليّ والنصيّ في القرآن الكريم ، وصدق من قال : (تنزيل من ربّ العالمين) .

ولله الحمد أولاً وآخراً ، وعليه توكّلي واعتمادي . وصلّى الله على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم .

أهم المراجع :

أهم المراجع :

*** ابن الأثير ؛ ضياء الدين (ت ٦٣٧ هـ) :**

- كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب ، تحقيق : د. نوري القيسي و آخـرين ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٨٢ .

*** ابن الأثير الحلبي؛ نجم الدين أحمد بن إسماعيل (ت ٧٣٧ هـ):**

- جواهر الكنز ، تحقيق : د. محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٩.

*** د. أحمد بدوي :**

- من بلاغة القرآن ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٨.

*** د. أحمد أبو زيد :**

- التناسب البياني في القرآن الكريم ، مطبعة النجاح الجديدة ، الرباط ، ١٩٩٢.

*** د. أحمد مطلوب :**

- معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٠ .

*** الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد) ت (٣٧٠ هـ) :**

- تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

*** أسامة بن منقذ (ت ٥١٨ هـ) :**

- البديع في نقد الشعر ، تحقيق : د . أحمد بدوي ، مكتبة البابي الحلبي ، القـاهرة ، ١٩٦٠ .

*** إسرائيل ولفنسون :**

- تاريخ اللغات السامية ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٠ .

***الإسكافي ؛ محمد بن عبد الله (ت ٤٢٠ هـ) :**

- درة التنزيل وغرة التأويل ، تحقيق : محمد آيدين ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، ٢٠٠٢ .

* **ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤ هـ) :**

- بديع القرآن ، تحقيق : د. حفني شرف ، نهضة مصر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٦.

- تحرير التحبير ، تحقيق : د. حفني شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٦ .

* **الألوسي؛ شهاب الدين (ت ١٢٧٠ هـ) :**

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨ .

***الأنصاري ؛ زكريا بن محمد بن أحمد (ت ٩٠٦ هـ) :**

- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق : بهاء محمد ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ،١٩٨٧.

* **البابرتي (أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود) ت (٧٨٦ هـ) :**

- شرح التلخيص ، تحقيق : د . محمد صوفية ، المنشأة العامة للنشر ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٨٣ .

* **الباقلاني ؛ محمد بن الطيب (ت ٤٠٣ هـ) :**

- إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٩٥ .

* **الباقولي الأصفهاني (أبو الحسن علي بن الحسين) ت (٤٥٣ هـ) :**

- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، تحقيق: محمد الدالي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٩٥ .

* **البغدادي ؛ أبو طاهر محمد بن حيدر (ت ٥١٧ هـ) :**

- قانون البلاغة في نقد النثر والشعر ، تحقيق : محسن عجيل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩ .

* **البغوي ؛ الحسن بن مسعود الفراء الشافعي (ت ٥١٦ هـ) :**

- معالم التنزيل ، تحقيق : خالد العك ومروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٦ .

*** البقاعي ؛ أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥ هـ) :**

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تحقيق : عبد الرازق المهدوي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٥ .

*** ابن البناء المراكشي (ت ٧٢١ هـ) :**

- الروض المريع في صناعة البديع . تحقيق : رضوان بن شقرون ، مكتبة النجاح ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥ .

***البيضاوي ؛ ناصر الدين عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥ هـ)**

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق: د.حمزة النشرتي وآخرين ، دار الأشراف ، القاهرة،١٤١٨.

*** د . تمام حسان :**

- البيان في روائع القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .

*** التنوخي ؛ زين الدين محمد بن محمد بن عمرو (ت ٧٩٥ هـ) :**

- الأقصى القريب في علم البيان ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٧ هـ .

*** الجاربردي (أحمد بن الحسن بن يوسف (ت ٧٤٦ هـ) :**

- شرح الشافية ،المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

*** الجرجاني ؛ محمد بن علي (ت ٧٢٩ هـ) :**

- الإشارات والتنبيهات، تحقيق: د. عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠١.

*** ابن جزي ؛ محمد بن أحمد (ت ٧٤١ هـ) :**

- التسهيل لعلوم التنزيل ، تحقيق : محمد اليوسفي ، أم القرى للطباعة ، القاهرة ،

*** ابن جماعة (بدر الدين محمد بن محمد) ت (٧٣٣ هـ) :**

- كشف المعاني في المتشابه من المثاني ،تحقيق : د. عبد الجواد خلف، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٩٩٠ .

*** الجوهري ؛ أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ) :**

- تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٨ .

* **الحاتمي (أبو علي محمد بن الحسن) ت (٣٨٨ هـ) :**

- حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق : د. جعفر الكتاني ، دار الرشيد ، بغداد، د . ت .

* **حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) :**

- منهاج البلغاء ، تحقيق : محمد الحبيب ابن خوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦ .

* **ابن حجة الحموي (تقي الدين علي بن محمد) ت (٨٣٧ هـ) :**

- خزانة الأدب وغاية الأرب ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

* **الحلبي ؛ شهاب الدين محمد بن سليمان (ت ٧٢٥) :**

- حسن التوسل إلى صناعة الترسّل ، تحقيق : د. أكرم عثمان ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٨٠.

* **أبو حيان الأندلسي ؛ محمد بن يوسف الغرناطي (ت ٧٤٥ هـ) :**

- البحر المحيط ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣ .

- النهر الماد من البحر المحيط ، تحقيق : بوران الضناوي ، دار الجنان ، بيروت ، ١٩٨٧ .

* **الداني ؛ أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤ هـ) :**

- التيسير في مذاهب القراء السبعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ .

***أبو داود ؛ سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥ هـ) :**

- السنن ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

***الرازي ؛ محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٠) :**

- مختار الصحاح ، تحقيق : محمد الحلاق ، دار النفائس ، الرياض ، ١٩٩٩ .

***الرازي ؛ فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) :**

- مفاتيح الغيب ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٠ .

- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق : د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥.

***ابن رشيق القيرواني ؛ أبو علي الحسن بن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) :**

- العمدة في نقد الشعر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل . بيروت، ١٩٨١ .

*** الرضي الاستراباذي (محمد بن الحسن) ت (٦٨٦ هـ) :**

- شرح كافية ابن الحاجب ، تحقيق : أحمد السيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

*** الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى) ت (٣٨٤ هـ) :**

- النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله و محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، ط٤ ، ١٩٩١ .

***ابن الزبير الغرناطي ؛ محمد بن الحسن (ت ٧٠٨ هـ) :**

- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من آي التنزيل ، تحقيق : سعد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٣.

*** الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله) ت (٧٩٤ هـ) :**

- البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٩٧ .

*** الزمخشري ؛ محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) :**

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مكتبة الأشراف، بيروت، ١٩٩٣ .

*** الزنجاني (عبد الوهاب بن إبراهيم) ت (٦٥٤ هـ) :**

- معيار النظار في علوم الأشعار ، تحقيق : د . محمد الخفاجي ، دار المعارف ، القاهرة ،

***السبكي ؛ بهاء الدين أحمد بن علي (ت ٧٧٣ هـ) :**

- عروس الأفراح ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٣ .

*** السجلماسي ؛ أبو محمد القاسم بن محمد (كان حياً بعد ٧٠٤ هـ) :**

- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تحقيق : علال الغازي ، مكتبة المعارف ، الرباط ، ١٩٨٠

***أبو السعود؛ محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٣ هـ) :**

- إرشاد ذوي العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٧.

***السكاكي ؛ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت ٦٢٦ هـ) :**

- مفتاح العلوم ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢ .

***السمرقندي ؛ أبو الليث نصر بن محمد (ت ٣٧٥ هـ) :**

- بحر العلوم ، تحقيق : على محمد معوض وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣ .

*** السمين الحلبي ؛ أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦ هـ) :**

-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق : د. أحمد الخرّاط ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٦ .

***ابن سنان الخفاجي ؛ أبو محمد عبد الله بن محمد (ت ٤٦٦ هـ) :**

- سر الفصاحة ، تصحيح : عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة صبيح ، القاهرة ، ١٩٦٩.

***السيوطي ؛ عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) :**

- الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، ط٢ ، ١٩٨٩ .

- شرح عقود الجمان ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٩.

- لباب النقول في أسباب النزول ، تحقيق : د.السيد الجميلي ، مكتبة القرآن ، القاهرة، ١٩٩٨ .

- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٤ .

***الشوكاني ؛ محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ) :**

- فتح القدير ، تحقيق : سعيد اللحام ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٢ .

*** صفي الدين الحلي ؛ عبد العزيز بن سرايا (ت ٧٥٠ هـ):**

- شرح الكافية البديعية ، تحقيق : د.نسيب نشاوي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٨٣ .

*** د. صلاح الدين الخالدي :**

- إعجاز القرآن البياني ، دار عمار ، الأردن ، ٢٠٠٠.

***الطوفي ؛ سليمان بن عبد القوي (ت ٧١٦ هـ) :**

- الإكسير في علم التفسير ، تحقيق : د. عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .

***الطيبي ؛ الحسن بن محمد (ت ٧٤٣ هـ) :**

- التبيان في المعاني والبديع والبيان ، تحقيق : عبد الستار زموط ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠١ .

*** عبد الجبار الأسد أبادي (ت ٤١٥ هـ) :**

- المغني في أبواب التوحيد والعدل ، ج١٦ ، تحقيق :أمين الخولي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

*** د. عبد الفتاح لاشين :**

- الفاصلة القرآنية ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨٢.

*** د. عبد الملك مرتاض :**

- نظام الخطاب القرآني ، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٤ .

*** ابن عربشاه ؛ إبراهيم بن محمد (ت ٩٤٣ هـ) :**

- الأطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ .

***العسكري أبو هلال ؛ الحسن بن عبد الله (٣٩٥ هـ):**

- كتاب الصناعتين ، تحقيق : محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٨ .

***ابن عطية ؛ عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٢ هـ) :**

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق : محمد الشافعي ، دار القلم، دمشق ، ١٩٨٧.

*** العلوي ؛ يحيى بن حمزة (ت ٧٤٩ هـ) :**

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، تحقيق : محمد شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥ .

*** د . عيد محمد شبايك :**

- الفاصلة القرآنية بين المبنى والمعنى ، دار حراء ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

*** ابن فارس ؛ أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) :**

- مقاييس اللغة،تحقيق : عبد السلام هارون ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ط٤ ، ٢٠٠٣ .

*** الفراهيدي (أبو عبد الله الخليل بن أحمد) ت (١٧٥ هـ) :**

- العين ، تحقيق : د . مهدي المخزومي ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٠ .

*** الفيومي (أحمد بن محمد بن علي) ت (٧٧٠ هـ) :**

- المصباح المنير، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٩ .

*** قدامة بن جعفر (ت ٢٣٧ هـ):**

- نقد الشعر، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٨ .

*** القزويني ؛ محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) :**

- الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

***ابن قيم الجوزية ؛ محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) :**

- بدائع الفوائد ، تحقيق : هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .

***الكرماني ؛ محمود بن حمزة بن نصر (ت بعد ٥٠٠ هـ) :**

- البرهان في متشابه القرآن ، تحقيق : أحمد خلف الله ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط٢ ، ١٩٩٨ .

*** د. كمال الدين المرسي :**

- فواصل الآيات القرآنية ، دار الوفاء للطباعة ، الإسكندرية ، ٢٠٠١ .

*** د. محمد الحسناوي :**

- الفاصلة في القرآن ، دار عمار ، الأردن ، ط٢ ، ٢٠٠٠ .

*** محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) :**

- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤ .

*** محمد بن عرفة الورغمي (ت ٨٠٣ هـ) :**

- تفسير القرآن الكريم ، تحقيق : حسن المناعي ، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ١٩٨٧ .

*** محمد فؤاد عبد الباقي :**

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٣ .

*** المرتضى (علي بن الحسين) ت (٤٣٦ هـ) :**

- غرر الفوائد ودرر القلائد ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ،١٩٧٨.

*** ابن المعتز؛ عبد الله (٢٩٦ هـ) :**

- البديع، تحقيق : إغناطيوس كراتشكوفسكي ، دار المسيرة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢.

*** ابن معصوم المدني (ت ١١٢٠ هـ) :**

- أنوار الربيع في صناعة البديع ، تحقيق: شاكر هادي ، مطبعة النجف الأشرف ، الكوفة ، ١٩٥٣ .

*** المظفر بن الفضل العلوي (ت ٦٥٦ هـ):**

- نضرة الإغريض في نصرة القريض ، تحقيق: د. نهى الحسن ، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥.

*** ابن منظور ؛ جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) :**

- لسان العرب ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٨ .

***ابن الناظم ؛ محمد بن مالك (٦٨٦ هـ) :**

- المصباح في المعاني والبديع والبيان ، تحقيق : د.حسني عبد الجليل ، مكتبة الآداب، القاهرة ، ١٩٨٩.

***ابن النقيب ؛ محمد بن سليمان البلخي (ت ٦٩٨ هـ) :**

- مقدمة تفسير ابن النقيب ، تحقيق : د. زكريا سعيد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٥ .

*** ابن يعقوب المغربي ؛ أحمد بن محمد (ت ١١٢٨ هـ) :**

- مواهب الفتاح ، تحقيق : د. خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١.

*** ابن يعيش ؛ موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣ هـ) :**

- الملوكي في التصريف ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٨.